

أ. محمد ناهض حنونة





الهَدِيّةُ المَرضِيَّة

شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

(٦٦١ -٧٢٨ هـ)

إعداد

محمد ناهض عبد السلام حنّونه

نسخة الكترونية

M١٢٠٠٧@hotmail.com

غزة -فلسطين





المقدمة

الحمد لله على ما أولاه من الفضل العظيم، والصلاة والسلام على نبيه الكريم، محمد ﷺ، الذي أمدَّه الله تعالى بأسباب الهداية فكان إمام المهتدين، وأيَّده بحسن التوفيق إلى الغاية، فكان سيد الغرِّ المحجلين، صلوات ربي وتسليماته وبركاته عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الكرام الميامين، أما بعد:

فإن من عظيم لطف الله بعباده، ومنته الوافرة على خلقه، أن هيأ لهم على اختلاف العصور والأزمان، علماء عاملين، وقفوا حياتهم لخدمة شريعة رب العالمين، فعلّموا الكتاب، ودرسوا ما فيه، ثم دوَّنوا في مقاصده، وكشفوا عن حقائقه، وبينوا غوامضه، فحفظوا لنا الأصول والفروع، بما حباهم الباري –سبحانه– من سعة الفكر، وبعد النظر، وقوة البيان، وسلامة الفطرة، وصفاء الذهن، وحسن المقصد، ما أعانهم على شرح الأصول الدينية، ونظم القوانين التشريعية، فانتفع بهم العام والخاص.

ومن هؤلاء العلماء الذين نالوا الحظ الوافر من هذا الخير العميم، والفضل العظيم، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني، الذي جمع بين نقاء العقيدة، والروح العالية، وبرع في فنون كثيرة، حتى جادل الأقران، وأبهر الأعيان، وجالد خصومه بسياط الحجة والدليل؛ فجدَّل مناوئيه، وأرغم مخالفيه، وألزم منافسيه، حتى ولَّى

دابرهم، وضلَّ آخرهم عن أولهم.

وقد كان ابن تيمية علامة فارقة في تقرير اعتقاد السلف، فأظهرها في أجمل حُلّة، ونصر السنة بأوضح حجّة؛ فلله دره، وعلى الله الكريم أجره.

وهذا شرح وجيز على نظم (اللامية)، بلغ من نفاسته الدراري المضيّة، وتبوأ من جلالته ذروة المصنفات العقدية، أودعته فصولاً عليّة، ومعانٍ سّنَية، وتقريرات سلفية، ووشحته بتعليقات وردية، وتفسيرات مرضيَّة عند أهل الفرقة النبويّة، وسميته (الهدية المرضية في شرح متن اللامية)، نسأل الله تعالى لها القبول، ولنا الفوز في الحياة الدنيوية والأخروية. والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

محمد ناهض عبد السلام حنونة

غزة –فلسطين



التعريف بمتن اللامية

اسم القصيدة:

اللامية، وسبب تسميتها بذلك أن كل بيت، منها ينتهي بلامٍ مضمومة.

مؤلفها:

تنسب هذه القصيدة إلى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وأول من نسبها إليه: أحمد بن عبد الله المرداوي [١] في شرحه عليها، ولكنه لم يجزم بصحة ذلك [٢]، ونسبها إليه الإمام الآلوسي [٣] في كتابه «جلاء العينين» [٤]، وقد وجدت بين رسائل مخطوطة كُتب عليها «عقيدة ابن تيمية» [٥].

---

(١) المرداوي: هو أحمد بن عبد الله المرداوي، كان حياً سنة ١٢٦٣ هـ، ومرداوي: نسبة إلى قرية (مردا) قرب مدينة نابلس في فلسطين، وقد تُلفَظ (مرداء)، وهي قرية خرج منها علماء وفقهاء ومحدثون، وأكثرهم إن لم يكن كلهم حنابلة. وأكثرهم بالشام ويلقبون كذلك بالمقادسة.

(٢) انظر: اللآلئ البهية؛ لأحمد المرداوي (المقدمة –ص ٣).

(٣) الآلوسي: نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، واعظ فقيه، باحث، من أعلام الأسرة الآلوسية في العراق. ولد سنة (١٢٥٢ هـ =١٨٣٦ م) ونشأ ببغداد. وولي القضاء في بلاد متعددة، منها الحلة، وأفتى ودرّس وصنّف، إلى أن توفي ببغداد سنة (١٣١٧هـ = ١٨٩٩ م)، انظر الأعلام للزركلي (٨/ ٤٢).

(٤) انظر جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، للآلوسي (ص ٥٨).

(٥) انظر اللامية، تحقيق خالد الحيان (ص ٣ –١٢).



وقد جزم بصحة نسبتها إليه عدد من أهل العلم [٦]، كما نفى صحتها عدد من أهل العلم [٧]؛ ولكن المعاني التي تضمنتها هي نفس المعاني التي قررها شيخ الإسلام.

موضوعها:

وموضوع القصيدة بشكل عام هو العقيدة، وقد تضمنت اللامية مسائل عظيمة، هي مجمل اعتقاد السلف، ولم تستوعب جميع العقائد؛ وذلك لأنها كانت فتوى لسائل، والفتوى تكون على قدر السؤال.

وقد جمعت اللامية أمهات المسائل العقديّة، فبلغت بمجملها ستة عشر مسألة، سبع مسائل تتعلق بصفات الباري سبحانه [٨]، والبقية في موضوعات مختلفة [٩].

---

(٦) ومن هؤلاء العلماء:

- الشيخ عبد العزيز الرشيد في «التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية» (ص ١١٧).
- الشيخ محمد عبد العزيز المانع في «القول السديد في عقيدة التوحيد» (ص ١٩).

(٧) ومن هؤلاء العلماء الذين نفوا نسبة اللامية لابن تيمية:

- الشيخ بكر أبو زيد في كتابه «المدخل إلى تاريخ شيخ الإسلام».
- العلامة العثيمين في شرحه على «السفارينية» (ط –دار البصيرة، ص ٤٢٧).
- الشيخ عبد الرحمن بن قاسم حيث لم يذكرها في «مجموع الفتاوي» .

(٨) وهذه الموضوعات، هي: القرآن كلام الله/ والرد على نفاة الكلام الإلهي / الإيمان بأسماء الله وصفاته / ترك تأويل الصفات الخبرية والفعلية / وتنزيه الباري عن صفات المحدثات / الرؤية / والنزول.

عدد أبياتها، وبحرها الشعري:

بلغت أبيات هذه القصيدة (١٦) ستة عشر بيتاً، وجاءت على بحر الكامل.

أهميتها:

تنبع أهمية هذا النظم مع كونه مختصراً، اشتماله على المسائل التي تميز أهل السنة عن غيرهم من الفرق المبتدعة والضالة: من الخوارج، والنواصب، والمعتزلة، والجهمية.

شروحاتها:

تعرض جمعٌ كبير من العلماء وطلبة العلم إلى شرح اللامية، ولعل أول هذه الشروح وأشهرها: هو شرح أحمد بن عبد الله المرداوي الحنبلي «الآلئ البهية»، وهو شرح لطيف مفيد، ولكنه لم يُجد في باب الأسماء والصفات، فانتحل مذهب المفوضة[١٠]، الذين يفوضون معاني الصفات، والحق أن التفويض يكون في كيفية الصفة لا في أصل المعنى، وهناك شروح أخرى على اللامية[١١].

---

(٩) وهذه الموضوعات، هي: حب الصحابة وفضلهم / ومودة الآل والتقرب إلى الله بحبهم / التفضيل بين الصحابة / أفضلية الصديق / الصراط والميزان / الجنة والنار / فتنة القبر وعذابه / الأمر بالاتباع وترك الابتداع.

(١٠) انظر (الكتاب المذكور): ص ٩٣، ٩٤، ١٠٨، ١١٠.

(١١) ومن هذه الشروحات على اللامية:



نُسخها:

ومتن اللامية له نسخة خطيّة في جامعة الملك سعود برقم (٦/ ١٩٢٨)، منسوخة في سنة (١٣٥٣هـ)، وذكرها علامة العراق نعمان الآلوسي «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» (ص ٥٨)، وقد ضمنها الكاتب عبد السلام بن برجس -رحمه الله -في مؤلفه «الصحيح من النظم الفصيح لشيخ الإسلام ابن تيمية».

مميزاتها:

تميزت لامية ابن تيمية بعدة مميزات، منها:

١-سلاسة ألفاظها، وعذوبة معانيها، وسهولة فهمها وحفظها.

٢-أنها نقلت العقائد التي اتفق عليها الأئمة الأربعة، والسلف الصالح.

٢-أن مؤلفها هو شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو أحد المتبحرين في فنون العقيدة.

- شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية؛ للشيخ عبد الكريم بن عبد الله الخضير -ط.
- الأسئلة الذهبية في شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية؛ لأبي حمزة نصر بن حزام الكوماني -ط.
- إطلالة تعريفية على لامية ابن تيمية، لبدر الله الصاعدي، مقال منشور -شبكة الألوكة.
- بدر التمام شرح لامية شيخ الإسلام، لعبد الرحمن العقل -ط.
- شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية؛ يحيى بن علي الحِجوي -ط.
- تعليقات على لامية ابن تيمية، زيد بن فالح الربع -منشور.
- شرح لامية شيخ الإسلام من كلام شيخ الإسلام، د. طالب بن عمر الكثيري -منشور.





٤-أنها بالإضافة إلى تقرير عقيدة السلف، ردَّت على عدد من الفرق المبتدعة.





ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية [(١٢)]

(٦٦١ –٧٢٨ هـ)

اسمه ونسبه:

هو الإمام، العلامة، الرباني، الفقيه، المجتهد، شيخ الإسلام، تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.

مولده:

ولد بحران سنة (٦٦١ هـ)، في بيت علم وفضل، وتحول به أبوه إلى دمشق؛ فنبغ هناك واشتهر.

---

(١٢) انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي (١/١٤٤)، وهداية القاري للعجمي (٢/٦٢٥)، وذيل التقييد للفاسي: (١/٣٢٥)، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٤/٤٩١)، وتذكره الحفاظ (٤/١٩٢،رقم:١١٧٥) ، ومعجم الشيوخ الكبير للذهبي (١/٥٦)، وفوات الوفيات (١/٧٤، رقم: ٣٤)، والبدر الطالع للشوكاني (١/٦٣، رقم:٤٠)، وأعيان العصر للصفدي (١/٢٣٣)، والدرر الكامنة لابن حجر: (١/١٦٨، رقم:٤٠٦)، والعقود الدرية من مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية لابن عبد الهادي:(١/١٧) ،والبداية والنهاية:(١٧/٥٩٣، ط: هجر)، والأعلام العلية في مناقب ابن تيمية لسراج الدين البغدادي (١/٨١).





نشأته وطلبه للعلم:

نشأ شيخ الإسلام ابن تيمية في بيت علم وصلاح، فقد حفظ كتاب الله عز وجل وهو في صغره، ثم انتقل إلى دراسة العلوم الشرعية، وقد تميز عن أقرانه بما أمده الله تعالى من سرعة الحفظ والفهم، وقوة الإدراك، وبطء النسيان، حتى قيل فيه: إذا حفظ شيئاً لم يكن ينساه، وأفتى ودرّس وهو دون العشرين.

عقيدته:

كان –رحمه الله –يدين بعقيدة السلف الصالح، من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وكان من أعلم الناس بفتاوى الصحابة والتابعين ومذاهب الأئمة الأربعة، وانتصر لمذاهب السلف، وردَّ على المتكلمين، فجالدهم، وجادلهم، وقطع أقوالهم، وبين بطلانها بالأدلة والبراهين النقلية والعقلية.

مذهبه الفقهي:

وكان رحمه الله حنبلي المذهب في الفروع، وَقَالَ فِيْهِ الصَفَدِيّ: «تَمَذْهَبَ للإِمَامِ أَحمَد بن حَنبَل، فَلَم يَكُنْ أَحَدٌ فِي مَذْهَبِهِ أَنْبَهَ وَلا أَنْبَل» [١٣].

(١٣) انظر أعيان العصر للصفدي:(١/٢٣٣).



نبوغه وبراعته في العلوم الشرعية:

برع شيخ الإسلام في عدد كبير من العلوم والفنون، كالتفسير، والحديث، والعربية، والعقليات، وكان –رحمه الله –إذا تكلم في العقيدة خرست ألسنة المبتدعين باختلاف طوائفهم، ومع ذلك فقد وضع الله له محبةً عظيمة في قلوب الخلق.

صفاته الخُلقية:

اتصف شيخ الإسلام بجملة من الصفات الكريمة، والتي أهلته ليكون منارةً للْعلم وَالْعَمَل معاً، ومن هذه الصفات: الزهادة، وَالْعِبَادَة، والإيثار وَالْكَرم والمروءة وَالصَّبْر والثبات والشجاعة والفراسة والاقدام والصدع بِالْحقِّ، والإغلاظ على أعداء الله، والتواضع للمؤمنين، واحترام العلماء، وَعدم الاكتراث بالدنيا وزخرفها وَنَعِيمهَا ولذاتها وَشدَّة الرَّغْبَة فِي الآخرة والمواظبة على طلبهَا.

صفاته الخَلقيّة:

كَانَ –رحمه الله –أَبيضَ الوجه، أسودَ الرَّأْسِ واللحية، قَلِيل الشيب، شعره إِلَى شحمة أُذُنَيْهِ، كَأَن عَيْنَيْهِ لسانان ناطقان، رَبْعَةً من الرِّجَال، بعيد مَا بَين الْمَنْكِبَيْنِ، جَهُوريَّ الصَّوْت، فصيحاً، سريع الْقِرَاءَة، تَعْتَرِيْهِ حِدَّةٌ لَكِن يقهرها بالحِلْم.

ثناء العلماء عليه:

قال الحافظ ابن رجب: «ومَحِاسُنهُ كَثيرة، وَهُوَ أكبر من أَن يُنَبِّهَ عَلَى سِيْرَتِهِ مِثْلِي، فَلَو حَلَفْتُ بَيْنَ الركن والمقام، لَحَلَفْتُ: أَنّي مَا رأيت بعيني مِثْلَهُ، وَأَنَّهُ مَا رأى مِثْلَ نَفْسه، لم أحنث».

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في تقريظه على كتابه (الرد الوافر)؛ بقوله: «وشهرة إمامة الشيخ تقي الدين أشهر من الشمس، وتلقيبه بشيخ الإسلام في عصره باقٍ إلى الآن على الألسنة الزكية، ويستمر غداً كما كان بالأمس، ولا ينكر ذلك إلا من جهل مقداره، أو تجنب الإنصاف، فما أغلط من تعاطى ذلك وأكثر إغثاره».

وقال الإمام الذهبيُّ –رحمه الله تعالى: «وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت مثله، وأنه ما رأى مثل نفسه. وقال في علمه بالسنة: يصدق أن يقال كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث».

وقال الحافظ ابن سيد الناس: «أَلفَيتُه ممن أدرك من العلوم حظاً، وكان يستوعب السنن والآثار حفظاً».

وقال الشيخ عماد الدين الواسطي: «فوالله، ثم والله، ثم والله، لم يُر تحت أديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية علماً وعملاً».

وقال ابن دقيق العيد: «رأيتُ رجلاً العلوم بين عينيه، يأخذ ما شاء منها، ويترك ما شاء منها».

وقال أبو الحجاج المزيّ: «ما رأيتُ مثله ولا رأى هو مثل نفسه، كان زاهداً في الدنيا، يجيئه المال في كل سنة ما لا يكاد يُحصى، فينفقه جميعاً، لا يلتمس منه درهماً، ولا يُنفقه في حاجته، بل كان إذا لم يقدر يعمد إلى شيء من لباسه فيدفعه إلى السائل».

تصانيفه:

برع ابن تيمية في التصنيف، وقد قيل: «بلغت تصانيفه ثلاثمائة مجلد»، وفي الدُّرَر «أَنَّهَا رُبَّمَا تَزِيْدُ عَلَى أَرْبَعَةِ آلافِ كُرَّاسَةٍ»، وَفِي فَوَاتِ الوَفِيَّاتِ «أَنَّهَا تَبْلُغُ ثَلاثَ مِئَةِ مُجَلَّدٍ».

المسائل التي نُقم فيها على ابن تيمية:

ثم إن الشيخ حصلت له أيام حياته محنٌ كثيرة، كادت تودي بحياته، لولا أن الله تعالى تولاه بالحفظ والحماية، وإنما قام عليه بعض العلماء في مسائل: الزيارة،

والتوسل، والطلاق، وقضيته وقضية من قام عليه مشهورة، والمسائل المذكورة ليست من أصول الدين، وإنما هي من فروع الشريعة التي أجمع العلماء على أن المخطئ فيها مجتهد يثاب، لا يكفر ولا يفسق، والشيخ كان يتكلم في المسألتين بطريق الاجتهاد، وقد ناظره من أنكر عليه فيهما مناظرة مشهورة بأدلة يحتاج من عارضه فيها إلى التأويل، وهذا ليس بعيب، فإن المجتهد تارة يخطئ وتارة يصيب، وهو مثاب على اجتهاده.

شرف نفسه وسماحته:

وقد عفا –رحمه الله –عن كل من آذاه من ناله بأذى من الأمراء لا سيما في أخريات حياته، وقد أحلَّ الملك الناصر من حبسه، لكونه فعل ذلك مقلداً لغيره، فكان معذوراً في ذلك، ولم يفعله لحظ نفسه، وأحلَّ كل ما كان بينه وبينه عداوة، إلا من كان عدواً لله ورسوله.

وفاته –رحمه الله:

وتوفي في قلعة دمشق محبوساً مظلوماً صابراً مجاهداً فِي ذَات الله، يوم الاثنين من ذي القعدة، سنة (٧٢٦ هـ)، وشيعت جنازته من سجن القلعة في موكب عظيم، يحملها العلماء والأمراء والكبراء، وأحاط بها الجند من كل جانب، حَتَّى أدخلت جَامع بني أُميَّة، فصلوا عليه، وما أن تسامع الناس بموته، حتى خرجت



دمشق كلها للصلاة عليه، وفرغت الأسواق، وتعطلت المعايش، ووضعت جنازته بِأَرْض فسحة متسعة الاطراف؛ فصلى عليه الناس، حتى قيل: لم يسمع بِجنَازَة بِمثل هَذَا الْجمع إِلَّا جَنَازَة الامام احْمَد بن حنبل رَضِي الله عَنهُ.

نص القَصِيدَةُ اللاَّمِيَّةُ

بسم الله الرحمن الرحيم		
يا سَائِلي عَنْ مَذْهَبِي وعَقِيدَتِي	(١)	رُزِقَ الهُدَى مَنْ لِلْهِدَايَةِ يَسْأَلُ
اسْمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ فِي قَولِه	(٢)	لاَ يَنْثَنِي عَنْهُ وَلاَ يَتَبَدَّلُ
حُبُّ الصَّحابَةِ كلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ	(٣)	وَمَوَدَّةُ القُرْبَى بِهَا أَتَوَسّلُ
وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلاَ وَفَضَائِلٌ	(٤)	لكِنَّمَا الصِّدِّيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ
وَأَقُولُ فِي القُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ	(٥)	آياتُهُ فَهْوَ الْكَرِيمُ الْمُنزَلُ
وَأَقُولُ قَالَ اللهُ جَلَّ جَلاَلُهُ	(٦)	وَالْمُصْطَفَى " الْهَادِي وَلاَ أَتَأَوَّلُ
وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمِرُّهَا	(٧)	حَقّاً كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ
وَأَرُدُّ عُهْدَتَها إِلَى نُقَّالِهَا	(٨)	وَأَصُونُها عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ
قُبْحاً لِمَنْ نَبَذَ القُرَانَ وَرَاءَهُ	(٩)	وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ "الأَخْطَلُ"
وَالمُؤْمِنُونَ "يَرَوْنَ" حَقّاً رَبَّهُمْ	(١٠)	وَإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ
وَأُقِرُ بالْمِيزَانِ وَالْحَوضِ الَّذِي	(١١)	أَرْجُو بِأَنِّي مِنْهُ رَيّاً أَنْهَلُ
وَكَذَا الصِّرَاطُ يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمٍ	(١٢)	فَمُسَلَّمٌ نَاجٍ وَآخَرَ مُهْمَلُ
والنَّارُ يَصْلاَهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ	(١٣)	وَكَذَا التَّقِيُّ إِلى " الجِنَانِ " سَيَدْخُلُ
وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ في قَبْرِهِ	(١٤)	عَمَلٌ يُقَارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ
هذا اعْتِقَادُ "الشَّافِعِيِّ" وَمَالِكٍ	(١٥)	وَأَبِي حَنِيفَةَ ثُمَّ أَحْمَدَ يُنْقَلُ
فَإِنِ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمُوَفَّقٌ	(١٦)	وَإِنِ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعَوَّلُ



إسنادي إلى لامية شيخ الإسلام ابن تيمية

أروي قصيدة اللامية المنسوبة إلى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، سماعاً عن شيخي محمد بن أبي بكر الحبشي، عن عمر بن حمدان المحرسي، عن أبي نصر الخطيب، عن عمر الآمدي الديار بكري، عن المرتضى الزبيدي، عن عمر بن عقيلة، عن حسن العجيمي، عن الزين الطبري المكي، عن المعمر الحصاري، عن جلال الدين السيوطي، عن محمد بن مقبل الحلبي، عن الحافظ ابن المحب الصامت، عن شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني رحمه الله تعالى.

(ح) وأرويها عالياً إجازة عن شيخنا المعمر عبد الرحمن الكتاني، عن أبيه عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، عن عبد الله بن درويش السكري، عن عبد الرحمن بن محمد الكزبري، عن مصطفى بن محمد الرحمتي، عن عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، عن النجم محمد بن البدر محمد بن رضي الدين الغزي، عن والده، عن الجلال السيوطي، عن محمد بن مقبل الحلبي، عن الحافظ شمس الدين أبي بكر محمد المقدسي، عن ابن المحب الصامت، عن شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني رحمه الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتح الناظم بالبسملة اقتداءً بالكتاب العزيز، في الترتيب التوقيفي لا في ترتيب النزول، ولخبر: «كل أمرٍ ذي بالٍ» أي: شأنٍ يُهتمُّ له شرعاً [(١٤)]، «لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم؛ فهو أبتر أو أجذم أو أقطع» [(١٥)] روايات، أي: وقليل البركة؛ وهو وإن تمّ حساً؛ فلا يتمُّ معنىً، والأجذم بمعنى الأقطع، وأما من أصابه داء الجذام؛ فيُقال له: مجذوم لا أجذم، والمراد بالأمر: ما يعمُّ القول: كالقراءة، والفعل: كالتأليف والنظم.

ولم يفتتح الناظم بالحمدلة، إجراءً للنظم مجرى الرسائل؛ فإنها تفتتح بالبسملة فقط، ولذا فإن الإمام البخاري –رحمه الله –في صحيحه لم يفتتح إلا بالبسملة،

---

(١٤) والأمر الذي يهتم به شرعاً، يُشترط فيه:

- ألا يكون من سفاسف الأمور؛ كلبس النعل، والبُصاق، والمخاط، فلا يُسنُّ البسملة عليها.
- وليس محرماً لذاته ولا مكروها لذاتهً؛ كالزنا فإنه مُحرّم، أو النظر لفرج زوجته بلا حاجة فإنه مكروه.

وخرج بذلك المُحرّم لعارضٍ؛ كالوضوء بماء مغصوب؛ وكذلك المكروه لعارضٍ كأكل البصل؛ فإن البسملة فيه لا تحرم في الأول، ولا تكره في الثاني.

- وألا يكون الأمر ذكراً محضاً؛ كقول: (لا إله إلا الله)؛ فإن التسمية عليه لا تُسن، بخلاف الذكر غير المحض، كالقرآن؛ لاشتماله على غير الذكر كالأخبار والمواعظ، فإن البسملة فيه مسنونة.
- وألا يكون ممن جعل الشارع له مبدأ غير البسملة؛ كالصلاة فإنه لا يبدأ فيها بالبسملة بل بالتكبير.

(١٥) أخرجه الخطيب في الجامع (٢/ ٦٩)، برقم (١٢١٠)، والرهاوي في الأربعين، من حديث أبي هريرة.



فلم يذكر الحمدلة ولا الصلاة والسلام على النبيّ ﷺ، لأنه اعتبر كتابه في حكم الرسالة التي يبعثها لطلبة العلم (١٦).

وقد ثبت أن النبيّ ﷺ كان يفتتح رسائله بالبسملة (١٧)، ويفتتح خطبه بالحمدلة (١٨)؛ و(بسم) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر، تقديره: ابتدائي وتأليفي، فقدرناه اسماً متأخراً مناسباً للمقام، والأولى تقديره فعلاً؛ لأن الأصل في العمل الأفعال، ونقدره متأخراً؛ لفائدتين: الأولى التبرك بالبدء بسم الله، والثانية الاختصاص.

و(اسم) مضاف، و(الله) الاسم الكريم مضاف إليه مجرور، والاسم مشتقٌّ عند البصريين من السمو بمعنى العلو، لأنه يعلو مُسماه، أو من الوسم عند الكوفيين، ويعني العلامة؛ لأن الاسم دالٌّ على مُسماه، والله: علمٌ على المعبود بحق، المتصف بصفات الكمال، والمنزه عن صفات النقصان.

وهو اسم الله الأعظم عند الجمهور، الذي إذا دُعي به أجاب، واختار النووي

---

(١٦) ينظر: التوضيح (٢/ ١٢٠ –١٢٧)؛ فقد بيّن ابن الملقن فيه أسباب ذلك.

(١٧) ومثال ذلك رسالة النبيّ ﷺ إلى هرقل، يدعوه فيها إلى الإسلام والنبوة، وألا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، والتي أخرجها البخاري في صحيحه (٢٩٤١)، ومسلم (١٧٧٣).

(١٨) روى مسلم في صحيحه (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: "كانت خطبة النبيّ ﷺ يوم الجمعة: يحمد الله ويثني عليه...".



أنه «الحي القيوم»، وإنما تخلفت الإجابة عند الدعاء به من بعض الناس، لتخلف شروط الإجابة، التي أعظمها أكل الحلال.

و(الرحمن) نعتٌ أول للفظ الجلالة، و(الرحيم) نعتٌ ثانٍ، وكلاهما مشتقٌّ من صفة الرحمة، والتي تعني التعطُّف والتلطف، وإرادة الخير والإحسان، وفرّقوا بين الرحمن والرحيم في المعنى؛ لأن زيادة المبني تدل على زيادة المعنى غالباً، فقيل: الرحمن صفة ذات والرحيم صفة فعل، وقيل: الرحمن الذي وسعت رحمته المؤمنين والكفار في الدنيا، والرحيم من اختصت رحمته بالمؤمنين في الآخرة، وقيل: الرحمن هو المتفضل بعظائم النعم، بينما الرحيم بدقائقها، وقيل غير ذلك.



افتتاح النظم

١-يا سَائِلي عَنْ مَذْهَبِي وعَقِيدَتِي　　　رُزِقَ الهُدَى مَنْ لِلْهِدَايَةِ يَسْأَلُ

وفي هذا البيت براعة استهلال، حيث أبان الناظم عن مقصوده من أول بيت فيه، وقوله (يا) حَرفٌ لنداء الْبعيد حَقِيقَة، أَو حكماً، وَقد يُنَادى بِهِ الْقَرِيب توكيداً أو تنبيهاً، وَهِي أَكثر أحرف النداء اسْتِعْمَالاً، وَلذَا لَا يقدر عِنْد الْحَذف سواهَا، نَحْو: {يُوسُف أعرض عَن هَذَا} أي: يَا يُوسُف، (سَائِلي) منادى منصوب [(١)].

والسائل: اسم فاعل مُضاف إلى ياء المتكلم، والسؤال يطلق على الطلب، أو على عبارته.

ومثال الأول قوله تعالى: {قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى} (طه: ٢٠) [(٢)]؛ أي أي طلبك وحاجتك من انشراح الصدر، وتيسير الأمر، وحل العقدة من اللسان، ومثالُ الثاني قول فرعونَ ِلُموْسَى عليه السلام: {قَالَ: فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى؟} (طه: ٤٩)، وهذه هي عبارة السؤال، وأما جوابه؛ فقد وقع من موسى عليه السلام

---

(١) منادى منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، وهي الكسرة، وهو مضاف، مضاف، والياء ضمير متصل مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ويجوزُ أن يكون المنادى (سائلاً) فيكون منصوباً بالفتحة لكونه نكرة غير مقصودة.

(٢) السؤل على وزن فُعل، بمعنى مفعول، أي أوتيت مسؤولَك، أي: مطلوبك وسؤالك، مثل: خُبْز بمعنى: مخبوز، وأُكْل بمعنى مأكول. انظر (تفسير القرطبي: ١١/ ٢٤).





في قوله: {رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} (طه: ٥٠) [١].

والسُّؤَالُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَالْحَدِيثِ نوعَانِ [٢]: (أحدُهُما): مَا كَانَ عَلَى وجْهِ التبيُّن والتَّعلُّم ممَّا تَمسُّ الحاجةُ إِلَيْهِ، فَهُوَ مُبَاحٌ، أَوْ مندُوبٌ، أَوْ واجب، (وَالْآخَرُ): مَا كانَ عَلَى طَرِيق التَّكلُّف والتعنُّت، فَهُوَ مكرُوه، ومَنْهيٌّ عَنْهُ.

وكُلّ سؤالٍ وقع بطريق التكلف والتعنت: وَوَقَعَ السكوتُ عَنْ جَوَابه؛ فَإِنَّمَا هُو (لرَدْع السَّائل وزجره)، وَإِنْ وقَعَ الجَوابُ عَنْهُ؛ فَهُوَ (عُقُوبَةٌ وتغليظٌ)، وفي الْحَدِيث: «أَنَّهُ ﷺ نَهَى عَنْ كَثْرة السُّؤَالِ» [٣].

والمراد بالسؤال: طلب الفهم والمعرفة على سبيل الهداية والاسترشاد، وذلك إما لجهل السائل، كما في حديث زيد بن ثابت، أن أنساً سأله: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: «قدر خمسين آية» [٤]، أو للتأكد والتثبت؛ كما في حديث الأعرابي، الذي سأل النبيَّ ﷺ عن فروض الإسلام: "آلله أمرك بكذا وكذا؟" فكان

---

(١) وقوله: {الذي أعطى كل شيء خلقه}، هذا العطاء يشمل عطاءين: الأول عطاء الحاجة، والثاني: عطاء الارتفاق، أما عطاء الحاجة: فهو ما يتوقف عليه الوجود، من ضروريات الحياة وقوام النفس، وأما عطاء الارتفاق: فهو ما يترتب عليه الترفه والتفكه؛ كسائر أنواع الترفيهيات.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر؛ لابن الأثير الجزري (٢/ ٣٢٨).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٤١)، برقم (٥٩٣)، عن المغيرة بن شعبة مرفوعاً.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٩)، برقم: (١٩٢١)، من طريق أنس بن مالك، عن زيد بن ثابت.





يجيبه في كل مرة: «اللهم نعم» [1]، أو لتعليمِ الغَيْر؛ كما في حديث جبريلِ المشهور، وفيه: «أنه كان يسأله ويصدقه» [2].

وَقَد يتعدى السؤالُ بنفسه مثل: {يَسْأَلُونَكَ: مَاذَا يُنْفِقُونَ؟} (البقرة: ٢١٥)، وقد يتعدى بـ(عن) مثل: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ} (النازعات: ٤٢)، وقد يتعدى بـ(من)، مثل: {وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ} (النساء: ٢٣)، و(عن) حرف جرٍ متعلق بـ"سائلي".

وقوله: (مذهبي)، اسم مجرور بـ "عن" [3]، وهو مَفْعَل مِنَ الذَّهَاب.

والمذهب في اللغة له إطلاقات كثيرة، منها: «مكان الذهابِ»؛ كما في الخبر: «كَانَ ﷺ إِذَا أَرَادَ الغَائِط أبْعد الْمَذْهَب»[4]، أي المَوضِعُ الَّذِي يُتَغوّط فيه. أو «زمانه»؛ كما في خبر: «لَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي

---

(١) رواه البخاري: (١/٢٣)، برقم: (٦٣)، ومسلم: (١/٤١)، برقم: (١٢)، عن أنس بن مالك، والأعرابي هو ضمام بن ثعلبة، أخو سعد بن بكر.

(٢) حديث جبريل في السؤال عن الإسلام والإيمان والإحسان، روي عن عمر بن الخطاب، مرفوعاً (رواه مسلم: (٨/ ٣١)، برقم: (٨)، وأبو داود: (٤/ ٢٢٣)، برقم: (٤٦٩٥)، والترمذي: (٥/ ٦)، برقم: (٢٦١٠).

(٣) وعلامة جره الكسرة المقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة.

(٤) حسن، رواه أبو داود في سننه (١/ ١)، برقم (١)، وابن ماجه (١/ ٥٢٣)، برقم (٦٨٦)، واللفظ له.



يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا» [1]، أو هو «نفس الذهابِ والمرور»، يُقال: (ذَهَبَ) يَذْهَبُ (ذَهَابًا) وَ(ذُهُوبًا) وَ(مَذْهَبًا) بِفَتْحِ الْمِيمِ، أَيْ مَرَّ مروراً.

وفي العرف: «ما قاله المجتهد بدليل ومات عليه» [2].

والمذهب في الاصطلاح، له إطلاقان:

الأولُ: المعتقد الذي يذهبُ إليه في الأصول، والأصول جمع أصل، وهو أساس الشئ وطرفه الثابت، أو ما يبنى عليه غيره.

والمراد بالأصول هنا: أركان الإيمان الستة، والتي بيّنها حديث جبريل: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره» [3]، وهي ثابتة بالكتاب والسنة، والإجماع، وتواتر الإيمان بها سلفاً وخلفاً.

الثاني: الطريقة التي يذهبُ إليها في الفروع، اتباعاً أو تقليداً.

والمراد بالفروع: هو كل جاز الاختلاف فيه، ولا يخالف نصاً ولا إجماعاً أو

---

(١) صحيح، رواه رواه الحاكم في المستدرك: (٤/٤٨٨)، برقم: (٨٣٦٤)، عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً.

(٢) انظر: المنح الشافيات؛ للبهوتي (١/ ١٢٠).

(٣) رواه مسلم: (٨/ ٣١)، برقم: (٨)، وأبو داود: (٤/ ٢٢٣)، وقد تقدم تخريجه.

قياساً، ويتعلق بحيثيات المسائل وضوابطها، ويتسع المجال للإجتهاد فيه، مع مراعاة تقديم النص في حال ثبوته.

والفرق بين التقليد والإتباع، أن الاتباع: تقليد القول أو الفعل مع معرفة الدليل، وأما التقليد فهو محاكاة القول أو الفعل بلا تأمل ولا دليل.

ولكن عند النظر إلى المقصود شيخ الإسلام من النظم، نجد أنه لم يُجب عن مذهبه الفرعي، وإنما أجاب عن مذهبه العقدي، فيكون هو المراد دون الثاني.

وعقيدة شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله –هي عقيدة السلف الصالح، المستمدة من كتاب الله تعالى، وسنة النبيّ ﷺ، كما تشهد بذلك كتبه النافعة "كالواسطية"، و"التدمرية"، و"الحموية"، و"اقتضاء الصراط المستقيم"، و"درء التعارض"، و"بغية المرتاد في الرد على أهل الأهواء والإلحاد"، و"الجواب الصحيح"، وغيرها.

وهو –أيضاً –حَنْبَلِيٌّ المذهب في الفروع، فقد تفقه على المذهب الحنبلي، وتخرّج على كتب أصحابه، وأسرته جميعاً حنابلة. قال فيه الصفدي –رحمه الله: "تمذهب للإِمَامِ أَحمَد بن حَنْبَل، فَلَم يَكُنْ أَحَدٌ في مذهبه أنبه ولا أنبل" [(١)].

---

(١) انظر أعيان العصر للصفدي:(١/٢٣٣).



ومع ذلك فقد كان لابن تيمية اختيارات خالف فيها مذهبه؛ فربما وافق فيها مذهباً آخر، أو خالف فيها المذاهب الأربعة، لكنه في الجملة يوافق فيها بعض السلف [(١)].

قوله: (وعقيدتي) معطوف على ما قبله، والعقيدة في اللغة: من العَقْدِ وهو الشد والربط والتوثيق، وعقد قلبه على شيء: لم ينزع عنه، وَأَصْلُهُ مِنْ عَقَدَ الحبْلَ؛ أي جعل فيه عقدةً [(٢)].

ومن معاني العقد في اللغة: الجزم واللزوم والتصميم، وسميت العقيدة بذلك؛ لأن الإنسان يعقد عليها قلبه وضميره، ويدين لله بها.

والعقيدة في الإصطلاح: هي حكم الذهن الجازم المطابق للواقع، فإن كان غير مطابق للواقع فيكون اعتقاداً باطلاً، وكذلك إن خالف خبر الشارع؛ فهو اعتقاد باطل.

وعليه فالإعتقاد الحق هو الموافق للواقع وخبر الشارع؛ كاعتقاد أهل السنة،

---

(١) ولابن سحمان منظومة فيما انفرد به ابن تيمية عن المذاهب الأربع، وهي مطبوعة، ضمن ديوانه المُسمى (عقود الجواهر المنضدة السحسان)، (ص ٥٢٠)، وبلغ بها تسع عشرة مسألة، وأولها (بحمد ولي الحمد مسدي الفضل)، وينظر العقود الدرية لابن عبد الهادي (ص ٣٢٨).

(٢) انظر العين (١/ ١٤٠)، وتهذيب اللغة (١/ ١٣٤).





بينما الاعتقاد الباطل، فهو المخالف للواقع وخبر الشارع، كاعتقاد النصارى في المسيح عليه السلام، وكاعتقاد اليهود في العزير عليه السلام.

والعقيدة أعمُّ من التوحيد؛ لأنها تشمل الإيمان بالله جل جلاله وغيره: كالإيمان بالملائكة، والنبيين، والكتب، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، والميزان، والحوض والصراط، والشفاعة، والجنة والنار وغير ذلك، وأما التوحيد فيختصُّ بالْإِيمَان بِاللَّه تَعَالَى وَحده لَا شريك لَهُ، ومنه أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، والإلهية، والأسماء والصفات.

والتوحيد فِي الاصطلاح: تَجْرِيد الذَّات الإلهية عَن كل مَا يتَصَوَّر فِي الأفهام، ويتخيل فِي الأوهام والأذهان، ومن ذلك تنزيه الباري عن الضد (وهو المناوئ الضعيف)، والند (وهو المناوئ المساوي)، وعن الكفؤ (وهو المماثل من بعض الوجوه)، وعن النظير (وهو المماثل من كل وجه)، ونفي الشريك يقتضي نفي الولد والوالد والزوجة الوزير والظهير عنه.

وللتوحيد أنواع ثلاثة، وهي: توحيد الربوبية المتعلق بالطلب والقصد، وتوحيد الألوهية المتعلق بالعبادة والتوجه، وتوحيد الاسماء والصفات المتعلق بالإثبات والتنزيه؛ وهي ضرورية لسلامة التوحيد من شوائب الشرك والشك، ويتوجب على العبد إفراد الله تعالى في كل نوع منها بما يخصُّه.



قوله: (رُزِقَ) فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ للمفعول، والرزق هو العطاء، وهو دعاء محمود للسائل زيادةً في الشفقة عليه، والنُّصح له، قال تعالى: {كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا} (الإسراء: ٢٠)، سواءً كان هذا العطاء دنيوياً أو أخروياً، {انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} في الدنيا {وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا} (الإسراء: ٢١)، وسواءً كان العطاء مادياً كالطعام والشراب واللباس، أم معنوياً كالحلم والصبر والأناة والعلم والحكمة.

ولما كانت الهداية من أعظم العطاءات المعنوية، ذكرها في النظم؛ فقال: (رُزق الهدى)، والهدى نائب فاعل مرفوع [١]، وهذه الجملة الدعائية، جواب الجملة التي بعدها، والمراد الدعاء للسائل بلزوم طريق الهداية، والاستقامة على دين الله عز وجل.

وإذا كان الرزق في الدنيا له أسبابه، فإن الهداية لها أسبابها، وأعظم أسباب الهداية هو السؤال عنها وطلبها من مظانها، قال تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} (الفاتحة: ٦)، وأفضل ما تُلْتَمَسُ فيه الهداية مجالس العلم، وحَلَقُ الذِّكْرِ.

وإنما تحصل الهداية بالسؤال، إذا كان القصد منه التعلم لا التعنت [٢]،

---

(١) وعلامة رفعه الضمة المقدرة، منع من ظهورها التعذر.

(٢) (التعنت): هو التشدد في المسألة والمبالغة فيها، وهو مأخوذ من العنت وهو الشدَّة والمشقة.



وعلى سبيل طلب الحق لا على سبيل التمدُّح والمفاخرة؛ لأن من قصده المفاخرة والتعنت لا يُرزق التوفيق والهداية غالباً.

و(من) اسم شرط جازم مبتدأ، (للهداية) جار ومجرور في محل نصب مفعول به، واللام زائدة، أي يوفق الله لسلوك طريقها، من (يسألُ) فعل مضارع مرفوع [٣]، وجملتي الشرط وجوابه في محل رفع خبر المبتدأ "من".

وقد أمر الله عز وجل بالسؤال عند عدم العلم، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (النحل: ٤٣).

---

(٣) وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

بناء العقائد الدينية على الأدلة اليقينية

٢-اسْمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ فِي قَولِـهِ   لاَ يَنْـثَنِي عَنْـهُ وَلاَ يَتَبَـدَّلُ

قوله: (اسمع) فعل أمر مبني على السكون [٤]، (كلام) مفعول به منصوب، وهو مضاف، أي: أَصغي للكلام الآتي بإهتمامٍ، وإطلاقه الكلام يقتضي أنه قول باللسان، لكنه شمل اعتقاد القلب وعمل الجوارح؛ وهذا الكلام هو كلام (مُحَقِّقٍ) مضاف إليه، والمحقق: هو الذي يتكلم بالكلام الرَصِيْنِ الذي لا يتخلله الوهم أو الغلط، والتحقيقُ: هو الرجوع بالشئ إلى حقيقته، أو هو إثبات المسألة بدليلها مطلقاً، فإن كان في إثباتها دقةً سُمي ذلك "تدقيقاً" [٥].

(في قوله) جار ومجرور، وذلك بإثبات المسائل بالأدلة والبراهين والحجج المستقاةُ من الكتابِ والسنَّةِ، والقول له إطلاقات، منها: الاعتقاد الجازم الذي لا يعتريه شك كما هنا، أو الرأي الصادر عن اجتهاد، مثلُ: هذا قول أبي حنيفة – رحمه الله، أي رأيه في المسألة.

وابن تيمية –رحمه الله تعالى –يثني على نفسه بما يستحقه من كونه يورد الكلام

---

(٤) وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره (أنت).

(٥) انظر: الكليات؛ لأبي البقاء (ص ٢٩٦).

على جهة النصح والإرشاد، وهذا جائزٌ؛ لأن الإنسان يجوزُ أَنْ يمدح نفسه للحاجة، كدفع شرٍ عن نفسه «كما فعل عثمان رضي الله عنه حين حُصر في داره [٦]»، أو لجلب خير لها، أو شكر نعمة الله عليه، أو ترغيب غيره في الأخذ عنه «كما فعل ابن مسعود رضي الله عنه [٧]»، أو لتحقيق مصلحة للناس، نحو قول يوسف عليه السلام: {اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} (يوسف: ٥٥).

وقوله: (لا ينثني) لا: النافية، وينثني: فعل مضارع مرفوع [٨]، (عنه) جار ومجرور، أي لا ينعطف ولا يميل ولا ينحرف ولا يتراجع عن اعتقادِ صِحَّةِ هذا الكلام وفي نسخة: "لا ينثني يوماً" مفعول به، أي عنه.

(ولا يتبدل) فعل مضارع مرفوع، أي لا يستبدل به غيره؛ لأنه القول الذي يعتقد صوابه، وهو ما عليه سلف الأمة رضوان الله عليهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، وهو ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

قال تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} (إبراهيم: ٢٧).

---

(٦) انظر: صحيح البخاري (٤/ ١٣)، برقم (٢٧٧٨)، وذكر لهم حفر بئر رومة، وتجهيز جيش العسرة.

(٧) انظر: صحيح البخاري: (٦/ ١٨٦)، برقم: (٥٠٠٠)، ومسلم (٤/ ١٩١٢)، برقم: (٢٤٦٢).

(٨) وعلامة رفعه الضمة المقدرة منع من ظهورها الثقل.



وقال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (الأنعام: ١٥٣).

وقال النبي ﷺ: «لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ» [(٩)]، أي على قلوب بيضاء نقيّة، لا تميل إلى الباطل، وأفاد هذا البيت أمرين:

(الأَوَّلُ): أن معتقد أهل السنة والجماعة واضحٌ مبني على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، بخلاف عقائد أهل الكلام؛ التي فيها كثير من الحيرة والشك والريب والتعب النفسي والضياع الفكري.

و(الثاني): الثبات على العقيدة الصحيحة، وعدم الميل والإنحراف عن طريق أهل الحق والإيمان، لأجل شبهةٍ باطلة أو شهوةٍ عارضة، كما هو حال أهل البدع والأهواء.

(٩) حسن، رواه ابن ماجه في سننه: (٤/١)، برقم: (٥)، والبزار في مسنده: (٧٦/١٠).





محبة الصحب ومودة الآل

٣-حُبُّ الصَّحابَةِ كلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ وَمَـوَدَّةُ القُرْبَى بِهَـا أَتَوَسّـلُ

قوله: (حُبُّ) مبتدأ مرفوع، وهو مضاف (الصحابة) مضاف إليه مجرور، والحبُّ: هو ميل القلبِ إلى المحبوبِ وسروره به، والصحابيُّ: هو كل من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك، ولو تخللت ذلك ردة على الصحيح، (كلهم) كلُّ: توكيد معنوي مرفوع، وهو مضاف، (هم): مضاف إليه [١٠]، أي جميعهم، (لي مذهب) اللام لام الملكية، حرف جر [١١]، وياء المتكلم ضمير متصل [١٢]، وشبه الجملة (لي) متعلق بخبر محذوف تقديره "كائن"، ومذهب: مبتدأ مؤخر مرفوع.

ومعنى ذلك أن عقيدتنا في الصحابة، هي وجوب محبتهم وموالاتهم، والثناء عليهم، والترضي عنهم، والاستغفار لهم، وزجر من أساء القول فيهم؛ فمتى ثبتت الصحبة وجب ذلك كله، لا نفرق في ذلك بين أبي بكر وعمر، ولا بين عليٍّ ومعاوية، ولا بين عائشة وفاطمة، وإن اختصَّ بعضهم بمزيد فضل وإحسان [١٣].

---

(١٠) مبني على السكون في محل جر بالإضافة.

(١١) مبني على الكسر لا محل له من الإعراب.

(١٢) مبني على السكون، في محل جر بحرف الجر (اللام).

(١٣) الصارم المسلول؛ لابن تيمية (١/ ٥٧٧).





وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أحدٍ منهم، ولا نسلبه القدر اللائق به، بل ننزل الجميع منازلهم في المحبة والتقديم، بحسب مراتبهم في الفضل، وكل ذلك بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب، ولا نوالي قوماً ونتبرأ من آخرين، ولا نذكرهم إلا بالخير والجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل.

ونعتقد أن حبهم دين وإيمان وإحسان، وأن فضيلة الصحبة ولو لحظةً لا يوازيها عمل، ولا تُنال درجتها بشيء من الأعمال؛ لأن الفضائل تؤخذ بالنص لا بالقياس، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ونبغض كل من يبغضهم أو بغير الخير يذكرهم، ونرى أن بغضهم علامة من علامات النفاق، وفي الحديث عن عبد الله بن مغفل؛ قال النبيُّ ﷺ: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي، من آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه» (١٤)، أي: لا تتخذوهم كالغرض الذي يرمى إليه بالسهام فترموهم بالكلمات التي لا تناسب مقامهم، فمن آذاهم فقد أذى النبيّ ﷺ ومن آذاه؛ فقد آذى الله عز وجل أي تعدى حدوده وخالف أمره.

وقد أجمع العلماء على حرمة سبهم أو ثلبهم أو نقصهم، وأوجبوا الترضي عنهم، والترحم عليهم، واعتقاد عدالتهم الظاهرة والباطنة.

---

(١٤) إسناده ضعيف، رواه الترمذي في سنن (٦/ ١٧٩)، برقم (٣٨٦٢).





ويكفي في فضلهم، قول الله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (التوبة: ١٠٠).

ويجب السكوت عمّا شجر بينهم، وإلا طلبنا له أحسن التأويلات، والتمسنا له أجود المخارج، وأما كثرة الخوض في ذلك؛ فلا ينفع في الدين، بل يضر في اليقين.

ونعتقد أن قتالهم كان للدين بخلاف قتال غيرهم، فورد في حقهم: «أن القاتل والمقتول في الجنة» (١٥)؛ لأنهم عن اجتهاد، وورد في قتال غيرهم: «القاتل والمقتول في النار» (١٦). وقد قال العلماء: المصيب منهم بأجرين والمخطئ بأجر، وقد شهد الله ورسوله لهم بالعدالة، فلم يخرج واحد منهم عن العدالة بما وقع بينهم؛ لأنهم مجتهدون.

---

(١٥) أخرج البخاري في صحيحه (٩/ ١٠٨)، برقم: (٧٣٥٢)، عن عمرو بن العاص، مرفوعاً: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»، وأخرجه مسلم (٣/ ١٣٤٢)، برقم: (١٧١٦).

(١٦) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ٤)، برقم (٦٨٧٥)، ومسلم (٤/ ٢٢١٣)، برقم: (٢٨٨٨).



وإنما بدأ بالصحابة؛ لأنهم حملة الدين، ونقلة الشرع، وإنما نتعبد إلى الله تعالى بفهمهم وطريقتهم؛ لأنهم شاهدوا الوحي، وعاينوا التنزيل، وعرفوا التأويل، فكانت أقوالهم وأفعالهم وفتاويهم أساس لفهم الإسلام، وهي حجة على من جاء بعدهم.

(ومودة القربى) معطوف على ما قبله، وهو مضاف ومضاف إليه (١٧)، والمودة: هي خالص المحبة وألطفها وأرقها (١٨)، والمراد بالقُربى: قرابة النبيّ ﷺ بالخصوص؛ وهم أهل بيته، الذين تحرُم عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةُ وهم: آل علي، وآل عقيل، وآل العباس، وآل جعفر، وأزواج النبي ﷺ.

وقيل: آل النبي –ﷺ– كل مؤمن تقي، وهؤلاء آله بالعموم، ولكن المشهور عند الإطلاق الأول دون الثاني، ومن الثاني قول النبي ﷺ: «سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»(١٩).

وقال الشاعر في ذلك:

---

(١٧) مودة: معطوف على ما قبله، أو مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة، والواو استئنافية، وهو مضاف، والقربى مضاف إليه مجرور بالكسرة المقدرة منع من ظهورها التعذر.

(١٨) انظر: روضة المحبين لابن القيم (ص ٤٦).

(١٩) رواه الحاكم في المستدرك:٣/٦٩١، برقم: ٦٥٤١، والطبراني في الكبير:٦/٢١٢، برقم: ٦٠٤٠، وقال الذهبيُّ في التلخيص: ضعيف، والحديث مشهور على ألسنة الناس، وقال الألباني: ضعيف جداً.



آل النبي هم أتباع ملته من	العجم والســـودان والعـرب
لو لم يكن آله إلا قرابتــه صد	ى المصلي على الطاغي أبا لهب

فنحب آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم حباً خالصاً لله، ولقرابتهم من رسول الله ﷺ، قال الله عز وجل: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} (الأحزاب: ٣٣).

وقال سبحانه: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} (الشورى: ٢٣).

ونعتقد أنه لا تنفع القرابةُ من رسول الله ﷺ إذا لم يصاحبها استقامة في الدين، وأنه لا ينفع الرجل إلا عمله الصالح، قال تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} (الزلزلة: ٧، ٨).

وقال تعالى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ} (المؤمنون: ١٠١).

وأما المبتدع والفاسق فلا منزلة له ولا كرامة ولو كان من آل البيت، قال تعالى: {وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} (الحج: ١٨).

وفي هذا البيت ردٌ على ثلاث فرق من المبتدعة، وهم:

١ –«الروافض [١]» الذين يبغضون أصحاب رسول الله ﷺ.

٢ – و«النواصب [٢]»: الذين يناصبون العداء لأصحاب النبي ﷺ، لا سيما أهل أهل البيت رضوان الله عليهم.

٣ –و«الخوارج [٣]»: الذين كفّروا علياً ومعاوية ومن معهم من الصحابة.

قوله:(بها) جار ومجرور [١]، متعلق بالمودة (أتوسلُ) فعل مضارع مرفوع [٢]، أي: أتقرب بها إلى الله تعالى؛ لأن محبة آل النبي ﷺ من الأعمال الصالحة المشروعة، المتعلقة بقول اللسان، وبفعل القلب وقوله، وكذلك محبة كل مسلم.

---

(١) الروافض: فرقة من فرق المسلمين زعموا أن عليًا هو الأحق في وراثة الخلافة دون الشيخين وعثمان رضي رضي الله عنهم أجمعين وقد أطلق عليهم اسم الروافض؛ لأنهم رفضوا قول زيد بن علي عندما سألوه عن الشيخين فترضى عنهما، فقاموا من عنده ورفضوه، وهم فرق كثيرة أشهرها الإمامية، وسموا إمامية لأنهم جعلوا من الإمامة القضية الأساسية التي تشغلهم، وسُمُّوا بالاثنى عشرية لأنهم قالوا باثني عشر إمامًا دخل آخرهم السرداب بسامراء على حد زعمهم. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١/ ٥١)

(٢) النواصب: هم الذين ينصبون العداء لآل البيت، ويقدحون فيهم، ويسبونهم، ويرمونهم إما بالفسق أو بالكفر، فهم على النقيض من الروافض انظر: شرح الواسطية؛ لابن عثيمين (٢ / ٢٨٣).

(٣) الخوارج: من أشهر الطوائف التي تبنت منهج النصب؛ وهم الذين خرجوا على عليٍّ رضي الله عنه وكفروه، وكفروه، وكفّروا معاوية ومن معه، وجمعوا إلى ذلك بدعا أخرى، ويُسمون الشراة. انظر: الموسوعة الميسرة (١/ ٦٢).



قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (المائدة: ٣٥).

فضل الصحابة وأفضلهم أبو بكر رضي الله عنه

٤-وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَــلاً وَفَضَائِلٌ   لكِنَّمَا " الصِّدِّيقُ " مِنْـهُمْ أَفْضَلُ

قوله: (ولكلهم) الواو متعلق بما قبله، ولكل: جار ومجرور، وهو مضاف، و"هم" مضاف إليه، أي: جميع الصحابة رضوان الله عليهم، لهم (قدْرٌ) مبتدأ مؤخر مرفوع، (علا) نعت مرفوع [٣]، أي منزلة عالية رفيعة، ورتبة في الفضل بحسب السبق في الإيمان، والصحبة، والنصرة، (و) حرف عطف، (فضائل) معطوف على "قدر"، أي: لهم فضائل كثيرة جاءت بها آيات الكتاب، وكتب السنن والتراجم والتواريخ.

---

(١) الباء حرف جر، وها: ضمير مبني على السكون في محل جر، والجار والمجرور في محل نصب مفعول به مقدم.

(٢) وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنا، والجملة من الفعل والفاعل والمفعول به في محل رفع خبر المبتدأ "مودة القربى".

(٣) وعلامة رفعه الضمة المقدرة، منع من ظهورها التعذر.





وفي نسخة: "قَدْرٌ وَفَضْلٌ سَاطِعٌ"، وساطع: نعت مرفوع، أي: ظاهر لا خفاء فيه، قَالَ تَعَالَى: {لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أولئك أعظم درجة} (الحديد: ١٠)، وأفضلهم أكابرهم، الذين جمعوا بين العلم والجهاد.

(لكنما) لكن: حرف استدراك ونصب إذا كان مشدداً، لكنه مكفوف بما (الصديقُ) مبتدأ مرفوع، أي: أبو بكر الصديق، واسمه: عبد الله بن أبي قحافة عثمان رضي الله عنه، (منهم) جار ومجرور [١]، (أفضل) فعل مضارع مرفوع [٢]، أي: من غيره من الصحابة، فهو أجلُّهم وأفضلهم بلا منازع، وأفضليته ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وقد اشتهر بلقب الصديق صبيحة ليلة الإسراء [٣].

وأفضلهم الخلفاء الأربعة، وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهم: طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص،

---

(١) والميم علامة الجمع، والجار والمجرور في محل نصب مفعول به.

(٢) والفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو، والجملة من الفعل والفاعل والمفعول به في محل رفع خبر "الصديق".

(٣) ودل على ذلك ما رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/ ٦٥)، عن عائشة رضي الله عنها، وقال الذهبي في تلخيصه: صحيح.





وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة عامر بن الجراح [(١)]. وقد نظم بعضهم أسماءهم؛ فقال:

لِلْمُصْطَفَى خَيْرُ صَحْبٍ نَصَّ أَنَّهُمُ ... فِي جَنَّةِ الخُلْدِ نَصَّاً زَادَهُمْ شَرَفَاً

هُمْ طَلْحَةُ وَابْنُ عَوْفٍ وَالزُّبَيْرُ مَعَ ... أَبِي عُبَيْدَةَ وَالسَّعْدَيْنَ وَالخُلَفَا

ثم يأتي في التفضيل غيرهم ممن بشره النبيُّ ﷺ بالجنة؛ كالحسن والحسين وأمهما فاطمة وأمها خديجة؛ فإنهم من المبشرين بالجنة قطعاً، ثم أهل بدر: ولا فرق بين من استشهد فيها وهم أربعة عشر رجلاً؛ وبين من لم يستشهد بها، وكانوا ثلاثمئاة وسبعة عشر رجلاً، ثم من شهد أحداً، سواء استشهد بها كالسبعين، أم لا، وكانوا ألفاً إلا ثلاثمائة من المنافقين رجع بهم عبد الله بن أبي بن سلول، ثم أهل بيعة الرضوان، وكانوا ألفاً وأربعمائة، ثم بقية الصحابة الأول فالأول، ونقدم المهاجرين على الأنصار [(٢)].

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول ﷺ: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ» [(٣)].

---

(١) وتخصيص العشرة المبشرين بالجنة؛ لورود النص بذلك عند الترمذي وابن حبان، عن عبد الرحمن بن عوف.

(٢) شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٨٤).

(٣) رواه البخاري:٥/٨، برقم: ٣٦٧٣، ومسلم:٤/ ١٩٦٧، برقم: ٢٥٤٠.



يعني في الثواب؛ فمن يبلغُ نصيف مُده جبل أحدٍ ذهباً، كيف يوزن فضله، أو يدرك شأوه؟! وليس منهم رضي الله عنه إلا من أنفق كثيراً (١).

وسبب تفضيلهم على غيرهم ما كان في أنفسهم من عظيم الإيمان، ووافر الشفقة والتودد، وما وقر في قلوبهم من الخشوع والتواضع، وما ظهر منهم من الإيثار والجهاد في الله حقَّ جهاده، ففضلت نفقتهم على نفقة غيرهم، وقد كان إنفاقهم في وقت الضرورة وضيق الحال بخلاف غيرهم، وكذلك كان إنفاقهم في نصرته وحمايته ﷺ وهو بين أظهرهم، ولم يتيسر ذلك لغيرهم.

وفضائل الصديق كثيرة، ويكفي في فضله قوله تعالى: {وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتقَى} (الليل: ١١) وقد ذكر ابن الجوزي إجماع العلماء من المفسرين وغيرهم على أنها نزلت في أبي بكر.

ومن السنة ما جاء عن أبي الدرداء، قال: قال النبي ﷺ: «إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي» مرتين (٢).

وقد تواتر عن علي بن أبي طالب ﷺ قوله: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر»

---

(١) النصيحة الولدية؛ لأبي الوليد الباجي (ص ٢٠).

(٢) صحيح البخاري (٥/ ٥)، برقم (٣٦٦١).

(١). وفضائل أبي بكر الصديق أكثر من أن تُحصى؛ فهو أول من أسلم من الرجال، وأول من جمع القرآن، وأنفق جميع ماله على رسول الله ﷺ، وصحب النبيَّ ﷺ منذ أسلم إلى أن مات، ولم يفارقه حضراً ولا سفراً إلا فيما أذن له فيه من غزو أو حج، وأمره النبيُّ ﷺ أن يُصلي بالناس مدة مرضه، وأمّره على الناس في الحج ليقيم السنة ويمحق آثار الجاهلية (٢).

ولأبي بكر في الصحاح نحو عشرين حديثًا أكثرها في فضائله (٣).

---

(١) ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام (٤١٠)، ونقله عنه السيوطي في تاريخ الخلفاء (٤٤).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٤١٤).

(٣) منهاج السنة النبوية (٨/ ٤١٩).



القرآن كلام الله وآياته المنزلة

٥-وَأَقُولُ فِي (القُرْآنِ) مَا جَاءَتْ بِهِ　　　آياتُــهُ فَــهْوَ الْكَـرِيمُ الْـمُنزَلُ

قوله: (وأقول) فعل مضارع مرفوع [١]، أي أعتقد بقلبي وأقرُّ بلساني (في القرآن) جار ومجرور [٢]، والقرآن في اللغة: من القرء بمعنى الجمع والضم، وسمي بذلك لأنه مجموعٌ في الصدور والسطور، وفي الاصطلاح: هو كلام الله عز وجل المنزل على نبينا محمد ﷺ بواسطة الوحي جبريل، المتعبد بتلاوته، المعجز بلفظه ومعناه، المنقول إلينا بالتواتر، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس.

(ما) اسم موصول مبني في محل نصب مفعول به، (جاءت) أي: أتت، وجاء: فعل ماضٍ مبني على الفتح، والتاء تاء التأنيث، (به) جار ومجرور في محل نصب على المفعولية، (آياته) فاعل مرفوع، وهو مضاف، والهاء ضمير متصل مبني في محل جر بالإضافة، جمع آية، وقد أخبر الله سبحانه أن القرآن منه سور وآيات وكلمات، وعدد سورة مائة وأربعة عشر سورة، وعدد آياته ستة آلاف وثلاثمائة وثمانية وأربعون، وعدد كلماته سبعةٌ وسبعون ألفاً وأربعمائة وتسعة وثلاثون.

---

(١) والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره (أنا).

(٢) وه يجملة اعتراضية، لا محل لها من الإعراب.



وقوله: (فهو) الفاء عاطفة، وهي تدل على التعقيب، وهو ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، (الكريم) خبر المبتدأ (المنزل) نعت مرفوع، والقرآن كلام الله تعالى، هو الذي تكلم به، وكلام الله بحرف وصوت مسموع غير مخلوق، سمعه جبريل عليه السلام، ثم بلّغه من شاء الله عز وجل من المرسلين.

وقد سمع موسى عليه السلام كلام الله بلا واسطة، وسمعه محمد ﷺ.ليلة الإسراء، منه بدأ، أي هو المتكلم به حقيقة، وعنه صدر، فلم يخلقه في الهواء، ولا في الشجرة، وإليه يعود في آخر الزمان، حيث يُرفع من المصاحف ومن صدور الرجال، فلا يبقى في الصدور منه آية، ولا في المصاحف منه حرف.

والقرآن كتاب كريم؛ لقوله تعالى: {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ} أي مكرّم في السماء وعلى الأرض؛ لأنه كلام الباري، وقيل (كريم)؛ أي غير مخلوق. وقيل: (كريم)؛ أي كل ما فيه حقه التكريم؛ فليس بسحر ولا كهانة، وليس بمفترى، وقيل: (كريم) لما فيه من كريم الأخلاق ومعالي الأمور. وقيل: (كريم)؛ لأنه يكرم حافظه، ويعظم قارئه، ويكسبه الكرامة.

إضافة إلى ذلك؛ فإن كتاب الله عز وجل، كتاب محفوظ، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر: ٩)، وهو كتاب مبارك: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} (ص: ٢٩)، وهوو كتاب موعظة وتذكير،



وهداية وشفاء ورحمة للمؤمنين، قال تعالى: {يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} (يونس: ٥٧).

وفي بعض النسخ (القديم)، والأول أولى؛ لموافقته الآية، وإن كان معناهما صحيحاً، وكلام الله قديم النوع حادث الآحاد، ومعنى قديم النوع: أي جنسه قديم، ولم يقل أحدٌ من السلف إن نفس الكلام المُعيّن قديم، ولا قال أحد منهم: أن القرآن قديم، بل قالوا: أنه كلام الله، منزل غير مخلوق، ومعنى: حادث الآحاد، أي أن الكلام متعلق بمشيئة الله تعالى، فيتكلم بما شاء متى شاء.

وبذلك نعلم أن القرآن الكريم لم يكن أزلياً قديماً بقدم الله تعالى، ولا أنه معنى واحد قائم بالذات، ولا أن حروف القرآن وأصواته أزلية، ومن قال: إن كلمة بعينها قديمة؛ فهو مبتدع [(١)].

وفي بعض النسخ (العظيم) بدل الكريم، أي مُعظّم، وهو الذي بلغ الغاية في العظمة والإعجاز، فقد جعله الله تعالى معجزة لنبيه ﷺ، وتحدى به أرباب الفصاحة والبيان؛ فتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله؛ فعجزوا عن ذلك، كما قال تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} (الإسراء: ٨٨).

---

(١) مجموع الفتاوى؛ لابن تيمية (١٢/ ٥٤، ٥٥).



ولا يزال هذا التحدي قائماً إلى يومنا هذا، لكل من ينكر نبوته ورسالته، وينكر كون القرآن كلام الله؛ ما يؤكد عجز عقول البشر وقصورها عن إدراك ذلك.

وقوله:(المُنَزَّلُ) صفة للكتاب، أي أنزل من عند الله جل وعلا، قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} (الشعراء: ١٩١، ١٩٢)، والروح الأمين: هو جبريل عليه السلام، وذكره بهذه الصفة دليلٌ على أنه مؤتمن على ما أرسل به، فلا يزيد ولا ينقص.

وقال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} (القدر: ١) يعني إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك منجماً بحسب الوقائع والأحداث، وقال سبحانه: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا} (الإسراء: ١٠٦).

فليس القرآن عبارة عن كلام الله، ولا حكاية عنه، بل هو كلام الله بالحقيقة، وكل حرف منه كالألف والباء والتاء كلام الله غير مخلوق؛ ويدل لذلك حديث ابن مسعود ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «من قرأ حرفاً من كتاب الله، كان له بكل حرف حسنة. لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف» (٢) وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة الثابتة

---

(٢) صحيح، رواه الترمذي (٢٩١٠)، وأبو نُعيم في الحلية (٦/ ٢٦٣)، والبيهقي في الشعب (١٩٨٣).

والله تعالى يتكلم بما شاء متى شاء، وكلامه من لوازم ذاته، فلا يكون إلا كاملاً، والذي يتكلم أكمل في الصفات ممن لا يتكلم.

وكلام الله في كتابه هو الذي نتلوه بألسنتنا، ونسمعه بآذاننا، وننظره بأعيننا، فهو كلام مقروء مسموع مكتوب، وكلامنا به هو كلام تبليغ، فأصواتنا مخلوقة وحروفنا مخلوقة، وكتابتنا مخلوقة، فليس صوت القارئ هو الذي تكلم الله به، ولكن جنس الكلام المكتوب في المصاحف هو كلام الله وهو غير مخلوق.

إثبات صفات الباري بلا تمثيل ولا تأويل

٦-وَأَقُولُ قَالَ اللهُ جَـلَّ جَـــلاَلُهُ وَالْمُصْطَفَى الْهَادِي وَلاَ أَتَأَوَّلُ

قوله: (وأقول)، الواو عاطفة، أقول: فعل مضارع مرفوع، أي: أعتقد في أسماء الله وصفاته، مثلما (قال الله) فعل وفاعل، والجملة في محل نصب مقول القول، ووالمعنى: أقول ما قاله في كتابه، من غير تحريف ولا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل، ولا نزيد على ما ورد، ولا نلتفت إلى من طعن في ذلك أو رد.

والله: علمٌ على الذات المقدسة المتصفة بصفات الكمال، والمنزهة عن كل نقص وعيب، (جل) فعل ماضٍ مبني على الفتح (جلاله) فاعل، وهو مضاف، والهاء ضمير متصل مبني في محل جر بالإضافة، أي ذو العظمة والكبرياء.

فنثبت له جل وعلا ما أثبته لنفسه في كتابه؛ كالاستواء، كما في قوله: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} (طه: ٥)، والوجه، كما في قوله: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} (الرحمن: ٢٧)، واليدين، كما في قوله: {مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} (ص: ٧٥)، ونثبت له المجيء والإتيان، كما قال: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ} (البقرة: ٢١٠).

(والمصطفى) الواو عاطفة، والمصطفى معطوف على فعل القول مرفوع [٣]، أي المختار محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهو أفضل الأنبياء وأعلاهم مرتبة؛ فأقول بقوله؛ لأنه (الهادي) صفةٌ [٤] للمصطفى ﷺ، وهذا كالتعليل لما قبله، وهو الهادي الذي هدى الأمة من الضلالة، وبصّرها من الجهالة، وهدايته ﷺ هي هداية إرشاد ودلالة، لا هداية توفيق وإعانة، قال تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (القصص: ٥٦).

ونثبت له سبحانه ما أثبته له نبيه ﷺ في سنته، كما في حديث النزول، وسيأتي الكلام عليه في البيت العاشر، ومن ذلك إثبات الفرح لله تعالى، كما في قوله ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ...» [٥].

والضحك، كما في قوله ﷺ: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ؛ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ؛ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» [٦].

والقدم كما في قوله ﷺ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؛ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا – وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا – قَدَمَهُ» [٧].

---

(٣) مرفوع بالضمة المقدرة منع من ظهورها التعذر.

(٤) وعلامة رفعه الضمة المقدرة منع من ظهورها الثقل.

(٥) رواه البخاري (٨/ ٦٧)، برقم: (٦٣٠٨)، ومسلم (٤/ ٢١٠٢)، برقم (٢٦٧٥).

(٦) رواه البخاري (٤/ ٢٤)، برقم: (٢٨٢٦)، ومسلم (٣/ ١٥٠٤)، برقم (١٨٩٠).



والعلو كما في قوله ﷺ للجارية: «أَيْنَ اللَّهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: «أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» (٨).

(ولا) نافية (أتأول) فعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره (أنا)، والتأويل: هو الخروج بالنصوص عن معانيها الحقيقية المرادة إلى معاني مجازية غير مرادة، ولا يجوز التأويل بغير قرينة ظاهرة الدلالة؛ فالواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف، لا سيما نصوص الصفات، حيث لا مجال للرأي فيها (٩)، ودل على ذلك السّمع والعقل، أما السَّمع فقوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (الزخرف: ٣)، وهذا يدل على وجوب فهمه على ما يقتضيه ظاهره باللسان العربي إلا أن يمنع منه دليل شرعي.

وقد ذم الله تعالى أهل الكتاب على تحريفهم، وبين أن من يفعل ذلك هو أبعد الناس عن الإيمان، فقال: {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (البقرة: ٧٥). وقد دلّ العقل على أن المتكلم بهذه النصوص أعلم بمراده من غيره، وقد خاطبنا

---

(٧) رواه البخاري (٦/ ١٣٨)، برقم: (٤٨٤٨)، ومسلم (٤/ ٢١٨٧)، برقم (٢٨٤٨).

(٨) رواه مسلم (١/ ٣٨١)، برقم (٥٣٧).

(٩) انظر القواعد المثلى؛ لابن عثيمين (ص ٣٣).



باللسان العربي المبين، فوجب قبوله على ظاهره، وإلا لاختلفت الآراء وتفرقت الأمة.



الإقرار والإمرار هو مذهب السلف

٧-وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمِرُّهَا   حَقّاً كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ

قوله: (وجميع) مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة، وهو مضاف (آيات) مضاف إليه مجرور [١٠]، وهو مضاف (الصفات) مضاف إليه مجرور، يعني التي جاءت في الكتاب والسنة، الذاتية والفعلية (أمرها) فعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره (أنا)، و"ها" ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ "جميع"، أي: بلا تأويل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل وتفسيرها قراءتها، والتفويض في الكيفية لا في المعاني، وأسماء الله عزوجل وصفاته توقيفية، لا مجال للاجتهاد فيها.

(حقاً) تمييز منصوب، أي: صدقاً ويقيناً (كما) الكاف حرف تشبيه وجر، و"ما" اسم موصول مبني في محل جر (نقل) فعل ماضٍ مبني على الفتح (الطراز) فاعل مرفوع (الأول) صفة مرفوعة، يعني المتقدمين من سلف هذه الأمة، كالأوزاعي والثوري ومالك والليث وابن عيينة، ومكحول والزهري، ومعمر، وأحمد بن حنبل، والشافعي وغيرهم من أعلام الإسلام ومصابيح الأنام، والطراز: هو الجيد من كل شيء وزينته؛ فكأن هؤلاء الأعلام كالعقد المنظوم من أوله إلى آخره، كلهم على

---

(١٠) وعلامة جر كلمتي (الآيات)، و(الصفات) الكسرة؛ لأنهما جمع مؤنث سالم.



طراز واحد في إثبات الصفات، وتنزيه الرب سبحانه.

يقول ابن تيمية في المجموع: "مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف: أن هذه الأحاديث تمرُّ كما جاءت، ويؤمن بها، وتصدق، وتصان عن تأويل يفضي إلى تعطيل وتكييف يفضي إلى تمثيل" (١١).

---

(١١) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٥٥).



صيانة النصوص عن التعطيل والتخييل

٨-وأَرُدُّ عُهْــدَتَها إِلَى نُقَّالِهَــا   وَأَصُونُها عَنْ كُلِّ مَـا يُتَخَيَّـلُ

قوله: (وأردُّ) فعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره "أنا"، (عهدتها) مفعول به منصوب، وهو مضاف، والهاء مضاف إليه، أي: أحيل أمانة نقل هذه الأحاديث، وصحة ما جاء فيها من الصفات، وفي نسخة: "وأورد" (إلى) حرف جر، (نقالها) اسم مجرور بـ(إلى)، وهو مضاف، والهاء مضاف إليه، أي ناقليها خلفاً عن سلف، فهم أعلم الناس بمدولاتها ومعانيها.

(وأصونها) الواو حرف عطف، أصون: فعل مضارع مرفوع، والهاء ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به، أي: أمنعها وأحفظها عن الخوض فيها بلا دليل، فيجب صونها عن كل تأويل وتمثيل وتكييف وتعطيل، و(عن كل) جار ومجرور (ما) اسم موصول بمعنى "الذي" في محل جر بالإضافة، (يتخيل) فعل مضارع مرفوع، ونائب الفاعل مستتر تقديره "هو"؛ لأن الله عز وجل لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام، ولا يُشّبه بالأنام، وسبيل أهل السنة والجماعة إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل.



القرآن كلام الله تعالى

٩-قُبْحاً لِمَنْ نَبَذَ القُرَانَ وَرَاءَهُ وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الأَخْطَلُ

قوله: (قبحاً) مفعول مطلق منصوب لفعل محذوف تقديره (قبح)، من التقبيح: وهو الذم، والبعد عن كل خير، قال تعالى: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ} (القصص: ٤٢)، والقبح ضد الحُسن، ويكون في الصورة، والقول، والفعل، وقبح الله فلاناً أي أبعده عن كل خير.

(لمن) اللام حرف جر، و"من" اسم موصول مبني على السكون في محل جر، (نبذ) نبذ: فعل ماضٍ مبني على الفتح، والفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره "هو"، والنبذ هو الطرح والإلقاء والإقصاء والترك والهجر، وهذا التقبيح ليس لمعين، ولكن لمن اتصف بهذه الصفة.

(القرآن): مفعول به منصوب، (وراءه) ظرف منصوب، وهو مضاف، والهاء مضاف إليه، أي أعرض عن هديه ونهجه وأقبل على غيره، وكل من عرض عن كتاب الله واتباعه فقد نبذ كتاب الله وراء ظهره.

ويشمل هذا التقبيح أهل الفجور والمعاصي، وكذا أهل الأهواء والبدع؛ لأن إعراضهم عن الكتاب والسُّنة ظاهر، وفي نسخة: " قَبَّحَ" بدلاً من قُبْحاً،



و"الكِتَابُ" بدلاً من القرآن.

وقد توعد الله عز وجل من أعرض عن ذكره بضيق العيش وكدره، فقال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا} (طه: ١٢٤).

وتوعد المخالفين لأمره بالعذاب والفتنة، قال تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (النور: ٦٣).

(وإذا) الواو حرف استئناف، وإذا: ظرفية شرطية غير جازمة (استدلَّ) فعل ماضٍ، هذا المخذول المبتدع على مسألة الكلام، (يقول) فعل مضارع، (قال الأخطل) ومقول القول في محل نصب مفعول به، وهو غياث بن غوث التغلبي النصراني [١٢]، وهذا استدلال فاسد، دل على فساده العقل والنقل، وهو دليل على إعراضهم عن الهدى وإقبالهم على الهوى،

فواعجباً من هؤلاء كيف يحتجون بقول نصراني كافرٍ، ويذرون كلام أحسن الخالقين، وكيف لهؤلاء أن يقدموا كلامه على كلام رب العالمين، الذي هو الحبل المتين، والصراط المستقيم، الذي من اعتصم به فقد رشد واهتدى، ومن أعرض عنه فقد ضل وغوى.

---

(١٢) يقصد: الشاعر النَّصْرَانيّ: غياث بن غوث التَّغْلِبي توفي سنة (٩٠ هـ)، انظر بيان ذلك مفصلاً في: (مجموع الفتاوى ٦ / ٢٩٦ -٢٩٧).



وفي هذا البيت تشنيع على من ترك الاستدلال بالقرآن الكريم وراح يستدل بالبيت المنسوب للأخطل، وهو:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما　　　جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فكيف يطرح هؤلاء كلام الله ورسوله ﷺ، وسائر المسلمين لكلام هذا الشاعر!

قوله: (إنَّ الكلام لفي الفؤاد) أراد واضع هذا البيت أن يقول: إن كلام الله نفساني لا بألفاظ وحروف وأصوات، وأن القرآن الموجود في المصحف ليس هو كلام الله بعينه، وإنما هو عبارة أو حكاية عن كلام الله، وهو قول الأشاعرة والماتريدية (١٣)، وذهبت المعتزلة إلى نفي صفة الكلام عن الله بالكلية (١٤).

وحاصل كلام هؤلاء أن الكلام الموجود في المصحف ليس هو كلام الله تعالى،

---

(١٣) ذهب الأشاعرة والماتردية إلى إثبات صفة الكلام لله تعالى، ولكن قالوا: كلام الله الذي نثبته هو المعنى القائم بالنفس، بلا لفظ ولا عبارة، وقالوا: كلامه معنى واحد تكلم به في الأزل، ولا يتكلم بعد ذلك، ويعتقدون أن القرآن الذي بين أيدينا ليس هو كلام الله، وإنما هو عبارة وحكاية عنه، وأما القرآن الذي بين أيدينا، ونزل به جبريل عليه السلام، وقرأه محمد ﷺ فهو مخلوق عندهم.

(١٤) ذهبت المعتزلة إلى نفي صفة الكلام عن الله بالكلية، وأما لفظ القرآن وعبارته عندهم؛ فيخلقها الله في الأجسام المخلوقة من الجمادات، أو نفس جبريل، أو نفس النبيّ ﷺ، أو في الهواء، أو يخلقها في اللوح المحفوظ، فيقرؤها جبريل عليه السلام، ثم ينزل بها على النبيّ ﷺ، وقالوا: إنما سمع موسى النداء من الشجرة، فالشجرة عندهم هي التي نادت موسى.





وهو قول معلوم البطلان بالضرورة، إذ التعبير عن هذا الكلام بالإنزال، وكونه مقروءاً، يقتضي أن جبريل سمعه من الله ﷻ، ونزل به من عند الله ﷻ.

ولو كان الحديث الجاري في النفس كلاماً، لكان الذي يوسوس نفسه بطلاق امرأته يكون قد طلقها، والذي يهم بعتق عبده يكون قد أعتقه.

وقد بيّن ابن تيمية بطلان هذا القول من تسعين وجهاً [١٥]، وسمى كتابه «بالتسعينية»، وقد أشار إلى ذلك ابن القيّم في «نونيته» [١٦]، بقوله:

وكذاك تسعينية فيها له	رد على من قال بالنفساني
تسعون وجها بينت بطلانه	أعني كلام النفس ذا الوحدان

والجواب على بيت الأخطل من وجوه:

أولاً: أن هذا البيت المنسوب إلى الأخطل، لا يوجد في شيء من الأصول المعتمدة، ولذا أنكره جماعة من العلماء، وقالوا: لا يثبت أنه قاله.

قال ابن قدامة: سألت شيخنا في العربية محمد بن الخشاب عن هذا البيت؛ فقال: "فتشت في دواوين الأخطل القديمة، فلم أجد هذا البيت من بينها، وإنما

---

(١٥) صحيح، رواه الترمذي (٢٩١٠)، وأبو نُعيم في الحلية (٦/ ٢٦٣)، والبيهقي في الشعب (١٩٨٣).

(١٦) نونية ابن القيم المسماة بالكافية الشافية (ص ٢٣١).



وجدتُ (إن البيان لفي الفؤاد...) فحرّفوه"[١٧].

وممن أنكره ابن حزم في كتابه «الملل والنحل»[١٨]؛ وقد لعن قائل هذا البيت، ولعن من جعل هذا النصراني حجةً في دين الله[١٩].

ثانياً: حتى لو ثبتت نسبته إلى الأخطل، فمثل هذا لا يُقبل من شاعر نصراني، وقد عُلم أن النصارى عطلوا عقولهم فيما هو أكبر من ذلك؛ فلا يقبل قولهم في هذا.

وقد نقل المرتضى الزبيدي في «شرح الإحياء»، عن شيخ الحنفية على الغزي

---

(١٧) مجموع الفتاوى؛ لابن تيمية (١/ ٣٨٧)، وذكره الألوسي في جلاء العينين (ص ٢٧٦).

(١٨) انظر الفصل في الملل والنحل (٣/ ٢١٢).

(١٩) وممن طعن في هذا البيت وفي دلالته:

- إمام العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي، كما نقله ابن تيمية في «المجموع» عن الإفصاح لابن هبيرة.
- وأنكره الخطابي في كتابه «شعار الدين» انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ٨٩٠ -٨٩١).
- وابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير» (٣/ ٢١٣).
- وكرمي الحنبلي في «أقاويل الثقات» (ص ١٢٤).
- والألوسي في «روح المعاني» (٣/ ٨٨).
- وابن حزم في «الفصل في الملل» (٢/ ٩٧).
- وابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ٢٧٣).
- وقال ابن القيم في «الصواعق المرسلة» (٢/ ٦٧٥): "ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي"، وغيرهم الكثير.



الحنفي في شرح عقيدة الطحاوي (وأما مَنْ قال بأن (كلام الله) معنى واحد مستدلاً بقول الأخطل النصراني فاستدلال فاسد، ولو استدل مستدل بحديث في الصحيحين؛ لقالوا: هذا خبر واحد مع أنه يكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول... فلا يجوز الاستدلال به فإن النصارى قد ضلوا في معنى الكلام" (٢٠).

ومثل استدلالهم ببيت الأخطل على نفي صفة الكلام، استدلال بعضهم على نفي صفة الاستواء، بقول بعضهم:

قد استوى بشرٌ على العراق   من غير سيفٍ أو دمٍ مِهراق

وقد طعن علماء الدين والعربية في صحة نقل هذا البيت، وكذلك طعنوا في دلالته ومعناه؛ حيث أنكروا أن يكون (استوى) بمعنى (استولى)، لأن الاستيلاء يأتي بعد المغالبة والمنازعة، ولا يقدر أحدٌ على أن يغالب الله في ملكه أو ينازعه في شيء منه.

(٢٠) اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين؛ للزبيدي (٣/ ١٤٦).





إثبات الرؤية والتنزل الإلهي

١٠-وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقّاً رَبَّهُــمْ وَإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ " يَنْزِلُ

قوله: (والمؤمنون) الواو حرف عطف، والمؤمنون: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم، جمع مؤمن، والإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، (يرون) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والمراد الرؤية العينية الحسيّة، وهي مستلزمة للرؤية العلمية؛ فأهل السنة يثبتون الرؤية، وأنها أنواع متباينة، وتحصل للمؤمنين بحسب قربهم من الله، ومعرفتهم به [٢١].

(حقاً) تمييز منصوب، أي صدقاً ويقيناً، لا وهماً ولا مجازاً (ربهم) مفعول به منصوب، وهو مضاف والضمير مضاف إليه، والميم للجمع، يوم القيامة، وفي هذا البيت إثباتٌ لرؤية المؤمنين لربهم عز وجل يوم القيامة بأبصارهم، وهي من أجل وأشرف مسائل العقيدة، التي شمّر من أجلها المشمرون.

قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} (القيامة: ٢٢، ٢٣)،

---

(٢١) انظر: مجموع الفتاوى؛ لابن تيمية (٦/ ٤٨٥).



والنظر إلى عُدّي بـ(إلى) كان حقيقةً في الرؤية البصرية.

وقال جل شأنه: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} (يونس: ٢٦)، وقال سبحانه: {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} (ق: ٣٥)؛ ويرى المؤمنون ربهم في مواطن كثيرة، فيرونه في العرصات، وفي الجنة، وغير ذلك.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله عز وجل: {وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} [ق: ٣٥] قال: يتجلى لهم في كل جمعة، وقال الإمام الشافعيُّ في قوله تعالى: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} لما حجب هؤلاء في السخط، دلَّ ذلك على أن أولياءه يرونه في الرضا.

ومن السنة قوله ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تَضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ» [(٢٢)]، يعني كلكم سيراه بلا إزدحام ولا تدافع، فيراه كل واحد في مكانه، وهو من باب تشبيه الرؤية بالرؤية، لا المرئي بالمرئي.

وفي الحديث عن صهيب، عن النبي ﷺ، قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب

(٢٢) رواه البخاري (٦/ ١٣٩)، برقم (٤٨٥١)، ومسلم (١/ ٤٣٩)، برقم (٦٣٣).



إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل» [٢٣].

وقد ذكر ابن القيم في كتابه «حادي الأرواح» أن أحاديث الرؤية رواها نحو ثلاثين صحابياً، وفيها أنهم يرون ربهم كما يرون القمر ليلة البدر [٢٤].

وهذا يدل على أن أحاديث الرؤية متواترة، ومثلها أحاديث الشفاعة والحوض، ونظم ذلك بعضهم؛ فقال:

مما تواتر حديث من كذب   ومن بنى لله بيتاً واحتسب

ورؤية شفاعة والحوضُ   ومسح خفين وهذي بعضُ

وقد ألّف جماعةٌ من أهل العلم في الرؤية، ومن أحسن هذه المؤلفات: كتاب "الرؤية" للدارقطني"، و"الرؤية" لابن الوزير، وقد أفرد ابن تيمية مبحثاً طويلاً في كتابه "العواصم" عن الرؤية.

وفي هذا البيت ردٌّ على من أنكر رؤية الله تعالى يوم القيامة، وهم الجهمية، والمعتزلة، والرافضة، والإباضية، وغيرهم، وحجتهم: أن الرؤية تستلزم الجهة، والله ﷻ ليس في جهة.

---

(٢٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٦٣)، برقم (١٨١).

(٢٤) انظر: حادي الأرواح؛ لابن القيم (ص ٣٣٧).



ولفظ (الجهة) لفظ مجمل؛ فإن أريد بنفيها نفي الرؤية فباطل، وإن أريد بنفيها أنها لا تحصره فحق، ومثل ذلك يُقال في جهة العلو، فإن أريد بنفيها نفي العلو فباطل، وإن أريد بنفيها أنها لا تحصره فحق [٢٥].

قوله: (وإلى السماء) جار ومجرور، والمراد السماء الدنيا (بغير) جار ومجرور، وهو مضاف (كيف) مضاف إليه (ينزلُ) فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره "هو"، فينزل سبحانه من غير أن يخلو منه العرش في قول أكثر أهل السنة [٢٦]، فهو في نزوله لا يزال فوق العرش، فلا يكون تحت المخلوقات، ولا تكون المخلوقات محيطة به قط، بل هو العلِي الأعلى [٢٧].

وفي عجز هذا البيت: إثباتٌ لعلوه جل وعلا على خلقه، وأنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كما جاء بذلك الخبر، فلا نتأوله بنزول الملك أو بنزول رحمته؛ فإنه غلط، وأما المبتدعة فنفوا النزول الإلهي ظناً منهم أنه يلزم من نزوله ما يلزم من نزول البشر، ونزوله سبحانه لا يشبه نزول المخلوقات.

وهذه الصفة من الصفات الذاتية الفعلية المتعلقة بالإرادة والمشيئة، وذكر ابن

---

(٢٥) القواعد المثلى؛ للعثيمين (ص ٣١).

(٢٦) ينظر شرح حديث النزول لابن تيمية (ص ٤٣)، وكتاب العرش للذهبي (١/ ١٩٩).

(٢٧) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٣٩٧).





القيم أن أحاديث النزول متواترة، رواها عنه نحو ثمانية وعشرون صحابياً (٢٨).

"وقد اتفق السلف على أن النزول فعل يفعله الرب؛ كما قال ذلك الأوزاعي، وحماد بن زيد، والفضيل بن عياض، وأحمد بن حنبل، وغيرهم" (٢٩).

ودليل ذلك قوله ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ كُلَّ لَيْلَةٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ» (٣٠)، وهو دليلٌ على صفات فعله جل وعز، وعلى علوه، وأنه بائن من خلقه، ودليل على إرداته ومشيئه.

ودل على ذلك أيضاً حديث جابر أن النبي ﷺ، قال: «ما مِن يومٍ أفضلُ عندَ اللهِ مِن يومِ عرفةَ ينزِلُ اللهُ إلى السَّماءِ الدُّنيا فيُباهي بأهلِ الأرضِ أهلَ السَّماءِ فيقولُ: انظُروا إلى عبادي شُعْثًا غُبْرًا ضاحِين جاؤوا مِن كلِّ فجٍّ عميقٍ يرجون رحمتي ولم يرَوْا عذابي؛ فلم يُرَ يومٌ أكثرُ عِتْقًا مِن النّارِ مِن يومِ عرفةَ» (٣١).

وفي حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قال: «إنّ

---

(٢٨) انظر: مختصر الصواعق (٣/ ١١٠٨)، ولما سرد أسماءهم في موضع آخر بلغوا اثنين وثلاثين صحابياً.

(٢٩) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٢٣٤).

(٣٠) رواه البخاري: ٥٣/٢، برقم: ١١٤٥، ومسلم: ٥٢١/١، برقم: ٧٥٨.

(٣١) صحيح ابن حبان (٣٨٥٨).



اللهَ يُمهِلُ حتى إذا كان ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرُ، نَزَلَ اللهُ عَجَلَ إلى هذه السَّماءِ، فنادى: هل من مُذنِبٍ يَتوبُ؟ هل من مُستَغْفِرٍ؟ هل من داعٍ؟ هل من سائِلٍ؟ إلى الفَجْرِ» (٣٢).

الإقرار بالميزان والحوض

١١-وأُقِرُ بالْمِيزَانِ وَالْحَوضِ الَّذي ... أَرجُـو بأَنّي مِنْــهُ رَيّـاً أَنْهَـلُ

قوله: (وأقرُّ) فعل مضارع مرفوع، يعني بلساني وأعتقد بجناني (بالميزان) جار ومجرور، الذي توزن به الصحائف والأعمال والحسنات والسيئات، كما يوزن به بعض العاملين؛ فيسع ذلك كله، ويميل ثقلاً وخفّةً بحسب الأعمال (٣٣)، وهو ميزان حسي، له كفتان ولسان؛ لقوله جل جلاله: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} (الأنبياء: ٤٧)، قال ابن عباس: "توزن الحسنات بأحسن صورة، والسيئات بأقبح صورة" (٣٤).

---

(٣٢) رواه البخاري في صحيحه (١١٤٥).

(٣٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٠٣).

(٣٤) ذكره البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٣٠) عن ابن عباس معلقاً.





ويكون وزن الأعمال بعد الحساب، لأن الحساب تقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها [٣٥]، وفي الحديث الصحيح: «يؤتى بالرجل السّمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة» [٣٦].

وفي هذا ردٌّ على المعتزلة الذين ينفون وينكرون الميزان، ويقولون: إن الحسنات والسيئات معانٍ وأعراض، والمعاني والأعراض لا توزن [٣٧].

ونشير هنا إلى ترتيب الأحداث يوم القيامة إجمالاً؛ وهي كما يلي: البعث من القبور، ثم الحشر، ثم الحوض، ثم الشفاعة، ثم عرض الأعمال، ثم تتطاير الصحف، ثم قراءة الكتاب، ثم الحساب، ثم الميزان، ثم انقسام الناس إلى طوائف وأزواج، ثم الظلمة قبل جهنم، ثم الصراط، ثم الاجتماع في عرصات الجنة [٣٨].

و(الحوض) معطوف على الميزان، أي وأقرُّ بحوض النبيّ ﷺ؛ و(الذي) اسم الموصول بدل من الحوض، (أرجو) فعل مضارع مرفوع، علامة رفعه الضمة المقدرة على الواو، منع من ظهورها الثقل، والرجاءُ: هو تأمل الخير واستحباب وقوعه، أو هو تعلق القلب بما يحبه في المستقبل، ولا شئ أرجى للعبد من سعة

---

(٣٥) التذكرة للقرطبي (ص ٣٥٩).

(٣٦) رواه البخاري ومسلم.

(٣٧) انظر: فتح الباري؛ لابن حجر (١٣/ ٥٣٨).

(٣٨) شرح العقيدة الطحاوية للشيخ صالح آل الشيخ (٢/ ٧٣٤ -٧٣٦).



رحمة الله، وقرب عفوه، وعظيم كرمه، فهو جل وعلا أرحم الراحمين، وقيل: الرجاء تعليق القلب بمحبوب في المستقبل، (بأني) الباء حرف جر، وأن حرف توكيد ونصب، والياء ضمير المتكلم مبني في محل نصب اسمها، وجملة "منه رياً أنهل" خبرها، غداً في القيامة.

(منه) جار ومجرور، أي: من الحوض (رياً) مفعول مطلق منصوب، أو حالٌ لما فيه من بيان هيئة الشرب، (أنهل) فعل مضارع مرفوع، والنّهل أول الشرب [٣٩]، والريان: ضد العطشان، وهي صيغة مبالغة من الريّ؛ ليدلَّ على أن من شرب منه؛ فقد ارتوى بدنه، واطمأن قلبه، وأنه من المفلحين الناجين، فيشرب هذا الوارد على الحوض حتى يرتوي. قال تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} (الكوثر: ١، ٢)،

وقد تواتر ذكر الحوض في السنة المطهرة، وذكر السيوطي أن عدد رواته من الصحابة بضعاً وخمسين صحابيٍّ، منهم الخلفاء الأربعة [٤٠]، واستقصى طرقها الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) ويأتي الحوض بعد الصراط.

---

(٣٩) انظر: تهذيب اللغة (١/ ٧٩).

(٤٠) رواه البخاري في صحيحه (١١٤٥).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «حَوْضِي كَمَا بَيْنَ عَدَنَ وَعَمَّانَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ، أَكْوَابُهُ مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا» (٤١).

وأما الحوض فهو رحمة الله لعباده المؤمنين على يد سيد المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ؛ ليظهر للناس كرامته وقدره عند الله جل جلاله، ولما شرب أتباعه المؤمنون من رحيق الإيمان في الدنيا، كان حقاً على الكريم المنان أن يسقيهم من حوض نبيهم عليه الصلاة والسلام في الآخرة.

ويُذاذ عن الحوض، أي: يُطرد ويُبعد عنه كل مُبتدعٍ ضالٍّ، مُغيّر في دين الله، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين، وفارق سبيل المؤمنين؛ كالخوارج، والروافض، والجهمية، والمعتزلة، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور، والفسقة المعلنون بالكبائر (٤٢).

ففي الحديث عن سهل بن سعد، قال: سمعت النبي ﷺ، يقول: «أنا فرطكم على الحوض، فمن ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبدا، ليرد علي

(٤١) صحيح، رواه الترمذي في سننه: (٤/ ٦٢٩)، برقم: (٢٤٤٤).

(٤٢) انظر: تفسير القرطبي (٤/ ١٦٨).

أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم؛ فيقال: إنك لا تدري ما بدلوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا لمن بدل بعدي» (٤٣).

(٤٣) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ٤٦)، برقم (٧٠٥٠)، ومسلم (٤/ ١٧٩٣)، برقم (٢٢٩٠).



الإيمان بالصراط ومرور الناس عليه

١٢–وَكَذَا الصِّراطُ يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمٍ   فَمُسَـلَّمٌ نَـــاجٍ وَآخَرَ مُهْمَـلُ

قوله: (وكذا) الواو حرف عطف، والكاف حرف جر، وذا: اسم مبني على السكون في محل جر، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم، تقديره "ومثله"، (الصراط) مبتدأ مؤخر، أي أؤمن وأقر به، والصراط في اللغة: الطريق الواسع أو الواضح، وفي الشرع: هو جسرٌ يُضْرَبُ على متن جهنم بين الجنة والنار، يمرُّ عليه العبادُ، (يُمدُّ) فعل مضارع، أي يُنصب، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره "هو"، (فوق) ظرف مكان مبني على الفتح، وهو مضاف، (جهنَّم) مضاف إليه مجرور بالفتحة؛ لأنه ممنوع من الصرف، وصُرف هنا مراعاةً للوزن الشعري.

فيعبر عليه جميع الناس، وهو مدحضة – أي مزلقة لا تثبت عليه القدم بل تزل عنه إلا من ثبته الله تعالى عليه، (فمُسَلّمٌ) الفاء متعلقة بما قبلها، ومُسلّم: مبتدأ، أي سالم من النار، (ناجٍ) خبر مرفوع بضمة مُقدرة، منع من ظهورها الثقل، وكلمة (ناجٍ) أصلها (ناجي) فحذف حرف العلة للضرورة الشعرية، وفي نسخة: فـ"موحّدٌ" إشارة إلى صفة من ينجو من النار، (وآخر) مبتدأ، ليس بناجٍ، وإنما (مهملُ) خبره، أي مكردسٌ فيها، واقع في أوديتها ودركاتها.

وهو أدق من الشعر وأحد من السيف، وأظلم من الليل، ويمر الناس عنه





على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدوا عدواً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف خطفاً، ويلقى في جهنم.

وأما من نجا منه؛ فإنه يقفُ في القنطرة بين الجنة والنار للقَصَاصِ من المظالم، ثم بعد ذلك يدخلون الجنة برحمة الله وفضله.

أخرج الطبراني، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف، عليه كلاليب من نار، تخطف أهلها فتمسك بهواديها، ويستبقون عليه بأعمالهم؛ فمنهم من شدة كالبرق، ومنهم من شدة كالريح، وكالفرس الجواد، وكهرولة الرجل، فذاك الذي لا ينشب أن ينجو» (٤٤).

---

(٤٤) رواه الطبراني بإسناد حسن (٩/ ٢٠٣)، برقم (٨٩٩٢).





الإيمان بالجنة والنار

١٣-والنَّارُ يَصْلاَهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ   وَكَذَا التَّقِيُّ إلى "الجِنَانِ" سَيَدْخُلُ

قوله: (والنارُ) مبتدأ، وهي دار البوار ومقرُّ الكفار، (يصلاها) يصلى فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الألف، منع من ظهورها التعذر، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، و(الشقي) فاعل، والجملة الفعلية "يصلاها الشقيُّ" خبر المبتدأ، الكافر أو الفاسق، وهو من جاءه الهدى من ربه؛ فلم يرفع به رأساً، كما قال جل وعلا: {فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى، لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى، الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى} (الليل: ١٥ -١٨).

وقال تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى، وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى} (طه: ٧٤، ٧٥).

وفي الصحيحين أنه ﷺ، قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار، يقال : هذا مقعدك من النار حتى يبعثك الله يوم القيامة» (٤٥)، وأما السعيد، فهو: من سعد بطاعة الله، والشقي من شقي بمعصيته وكفر نعمه.

---

(٤٥) أخرجه البخاري (٣/ ٢٣٤)، ومسلم (٤/ ٢١١٩).



(بحكمة) جار ومجرور متعلق بالفعل يصلاها، أي وفق حكمة الله، ويجوز أن يكون (بحكمه) بالهاء، أي: بعدل الله، وبما كسبت يداه.

وقوله: (وكذا) الجار والمجرور متعلق بخبر محذوف تقديره "ومثله"، (التقيُّ) مبتدأ مؤخر، وهو المؤمن الذي جمع معاني التقوى، بفعل المأمورات، واجتناب المحظورات (إلى الجنان) جار ومجرور، جمع جنة، وهي دار الثواب، ومأوى المؤمنين (سيدخل)، السين حرف استقبال لا محل له من الإعراب، ويدخل: فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر جوازاً تقديره "هو"،

فهو سبحانه يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلًا، وَيُضِلُّ من يشاء ويخذل ويبتلي عدلا، والهداية والخذلان كلها من الله عزَّ وجل، قال تعالى: {قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ} (آل عمران: ١٥٤)، ولله الحكمة البالغة في ذلك كله.



١٤-ولِكُلِّ حَـيٍّ عَاقِـلٍ في قَبْرِهِ عَمَـلٌ يُقارِنُـهُ هُنَاكَ وَيُسْـأَلُ

قوله: (ولكل) جار ومجرور، وهو مضاف، (حي) مضاف إليه (عاقل) نعت لحيّ، أي: مكلف (في قبره) جار ومجرور، وقبر مضاف، والهاء مضاف إليه، والقبر هو المكان الذي يستقر فيه جسد الميت، (عملٌ) مبتدأ مؤخر، أي صالحٌ أو ضده، (يقارنه) فعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره: "هو"، والهاء ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به، (هناك) كلمة اعتراضية لا محل لها من الإعراب، وفائدتها تحديد المكان، أي يلازمه في قبره، فيُسأل عنه.

وفي حديث البراء الطويل، عنه ﷺ، قال: «يمثل للمؤمن عمله الصالح في صورة رجل حسن الوجه، طيب الريح، حسن الثياب، وعمله الخبيث في صورة رجل قبيح الوجه، منتن الريح، قبيح الثياب» (٤٦).

يقول الله عز وجل {وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} (الإسراء: ١٣ -١٤).

---

(٤٦) صحيح، رواه الحاكم في المستدرك: (٩٣/١)، برقم: (١٠٧).



وقال الجلال السيوطي في شرح ألفية العراقي، المسمى «بالتبصرة» ما نصُّه: أحاديث القبر، وعذابه، وسؤال الملكين، بلغت نحواً من تسعين حديثاً.

وخرج بقوله: (العاقل) من ليس بعاقل، ومنهم المجنون الذي فقد عقله، فيحاسبُ على عمله قبل الجنون، وكذا الصبيُّ غير البالغ؛ فإنه لا يحاسبُ على عمله حال صباه، وإن جُنَّ قبل بلوغه فلا حساب عليه، لحديث: «رفع القلم عن ثلاث»، ومنهم: «المجنون حتى يعقل» [٤٧]، وينطبق عليهم حديث الأسود بن سريع: «أربعة يمتحنون يوم القيامة»، وذكر منهم الهَرِم يقولُ: «جائني الإسلام ولا أعقل شيئاً» [٤٨].

قوله: (ويسألُ) فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر، أي في قبره، والسائل هما الملكان، والسؤال هو ما ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

قال تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} (إبراهيم: ٢٧)، قال ابن كثير: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور.

---

(٤٧) صحيح، رواه أحمد في مسنده: (٢٢٤/٤١)، برقم: (٢٤٦٩٤)، وأبو داود في سننه: (١٣٩/٤)، برقم: (٤٣٩٨)، والنسائي: (١٥٦/٦)، برقم: (٣٤٣٢).

(٤٨) صحيح، رواه ابن حبان في صحيحه: (٣٥٦/١٦)، برقم: (٧٣٥٧).



وكان من دعاء النبيّ ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وعذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال» (٤٩).

وفي الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن عذاب القبر؟ فقال: «عذاب القبر حق» (٥٠).

---

(٤٩) رواه البخاري (٧٩٢)، ومسلم (٩٣٠).

(٥٠) رواه البخاري (١٢٨٩) معلقاً، وأخرجه النسائي (١٣٠٨) موصولاً.





هذه العقيدة هي عقيدة الأئمة الأربعة

١٥-هذا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيّ ومَالِكٍ   وأَبِي حَنِيفَةَ ثُمَّ أَحْمَدَ يُنْقَلُ

قوله (هذا) اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، الذي نظمته آنفاً من المسائل (اعتقادُ) خبره وهو مضاف، أي هو اعتقادُ الأئمة الأربعة، وغيرهم من سلف الأمة، وهم: (الشافعي) مضاف إليه، و(مالك) اسم معطوف، و(أبو حنيفة) والواو هنا استئنافية، وأبو مبتدأ مرفوع بالواو؛ لأنه من الأسماء الخمسة، وهو مضاف، وحنيفة مضاف إليه منصوب بالفتحة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث اللفظي.

(ثم) حرف عطف (أحمد) معطوف عليه مجرور بالفتحة أيضاً؛ لأنه اسم على وزن الفعل؛ فمنع من الصرف، (ينقل) فعل مضارع مرفوع، وفاعله ضمير مستتر جوازاً تقديره: "هو"، يعود على أبي حنيفة وأحمد، وحينئذٍ يكون الشطران مختلفين، أي: هذا اعتقاد الشافعي ومالك، وهذا نقل أبي حنيفة وأحمد، والصواب أنه لا يوجد فرق بين النقل والاعتقاد؛ لأن مآل الأمرين واحد، وهذا الاختلاف من باب تنويع العبارات.

١-ناصر السُّنة، أبي عبد الله مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشافعي، ولد سنة (١٥٠ هـ)، في السنة التي مات فيها أبو حنيفة، وقال أهل التاريخ: ولد بغزة من بلاد





فلسطين، ومات عنه أبوه وهو ابن سنتين فحملته أمه إلى مكة، فنشأ وترعرع بها وجالس أهل العلم، وفتح الله عليه من العلم ما لم يفتح على غيره؛ حتى كان مسلم بن خالد الزنجي –وهو مفتي مكة –يحثه على الفتيا وهو ابن خمس عشرة سنة، ومن أقوله: إِذَا وَجَدْتُمْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ سُنَّةً فَاتَّبِعُوهَا، وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى قَوْلِ أَحَدٍ[٥١]، ومات سنة (٢٠٤ هـ) عن أربع وخمسين عاماً.

٢–ونجم السنة مالك ابن أنس الأصبحي، إمام أهل المدينة رضي الله عنه، ولد سنة (٩٣ هـ) بالمدينة، وقال الشافعي: إذا ذكر العلماء فمالك النجم، وما أحد أمنٌّ عليّ من مالك بن أنس، وقال عبد الله بن وهب: لولا أن الله أنقذني بمالك والليث لضللت. وقال عبد الرحمن بن مهدي: ما رأيت أحداً أعقل من مالك بن أنس. ومن أقوله: إنما أنا بَشَرٌ أُخطِئُ وَأُصِيْبُ فَانْظُرُوا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه، وتوفي سنة (١٧٩ هـ) عن ستة وثمانين عاماً.

٣–وفقيه الملة، وعالم العراق أبو حنيفة، النعمان بن ثابت الكوفي، ولد: سنة (٨٠ هـ)، وعني بطلب الآثار، وارتحل في ذلك، وأما الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه، فإليه المنتهى، والناس عليه عيال في ذلك، وعن عبد الله بن المبارك:

---

٥١ رواه أبو نُعَيم في الحلية:(١٠٧/٩)، وابن حبان في صحيحه:(٢٨٤/٣–الإحسان) بسند صحيح.





لولا أن الله أعانني بأبي حنيفة وسفيان، لكنت كسائر الناس، ومن أقواله: إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَهُوَ مَذْهَبِي، وتوفي سنة (١٥٠ هـ)، عن سبعين عاماً.

٤-وإمام أهل السنة أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، وكان فقيهاً مُحدّثاً، إلا أنه غلب عليه الحديث، ولد سنة (١٦٤ هـ) ببغداد، ومن أقواله: من ردَّ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو على شفا هلكة، وتوفي سنة (٢٤١ هـ) عن سبعة وسبعين عاماً.





الحث على الاتباع وترك الابتداع

١٦–فَإِنِ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمُوَفَّقٌ وَإِنِ ابْتَدَعْتَ فَمَـا عَلَيْكَ مُعَـوَّلُ

قوله: (فإن) الفاء عاطفة، وإن حرف شرط يجزم فعلين: فعل الشرط وجزاؤه، وهو مبني على السكون، لا محل له من الإعراب، (اتبعتَ) واتبعت فعل ماض مبني على السكون؛ لاتصاله بضمير الرفع المتحرك، والتاء ضمير متصل في محل رفع فاعل (سبيلهم) مفعول به منصوب، وهو مضاف، والهاء مضاف إليه، والميم علامة الجمع، أي إن اتبعت سبيل هؤلاء الأئمة الأربعة، ومن سبقهم من الصحابة، ومن لحقهم من أئمة أهل السنة والجماعة، يعني في مسائل الاعتقاد وأصول الدين، وكذلك في الفروع.

(فموفق) الفاء واقعة في جواب الشرط، وموفق مبتدأ مرفوع، وخبره ضمير مبني على الفتح تقديره (أنتَ)، والجملة من المبتدأ والخبر في محل جزم جواب الشرط، أي أنت موفق من الله عز وجل، أو نلت التوفيق، وهو استقامة الأقوال، وصلاح الأحوال.

(وإن) حرف شرط وجزم مبني على السكون، لا محل له من الإعراب (ابتدعت) فعل وفاعل، بأن اخترعت قولاً أو فعلاً في دين الله بغير علم، أو أولت الاستواء بالاستيلاء، والنزول بنزول أمره ورحمته، وجعلت كلام الله عبارة أو حكاية عنه،

وأولت صفة اليدين بالنعمة ونحو ذلك من صفاته المقدسة، ولم تسلك سبيل الإثبات والتنزيه، (فما) الفاء رابطةٌ للجواب، وما: نافية (عليك) جار ومجرور، في محل رفع خبر مقدم، (معوّلُ) مبتدأ مؤخر، أي لا يَثِقَ الناس بك ولا بكلامك؛ لأنك خرقت بذلك إجماع السلف الصالح الأخيار، ونبذت الكتاب والسنة والآثار، ورضيت لنفسك بالمراء والجدال، والنزاع، والمكابرة.

وغالباً ما يقع المبتدع في الخطل والخلل والضلال والكذب والاضطراب، والحيرة والشك والارتياب؛ فلا يطمئن الناس إلى قوله ولا إلى فعله.

وأركان التوفيق ركنان هما: التوكل والإنابة، قال تعالى: {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} (هود: ٨٨).

سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدُّك، ولا إله غيرك.

والحمد لله رب العالمين



المحتويات



